الأربعـــون القيـــروانيَّــة
في
التَّرهيب مِن الشِّرك

تأليف: أبو مسلم القيرواني

دار القيروان
لنشر التَّوحيد

المقدّمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، القائل: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله القائل: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ». والقائل: «مَنْ دَعَا إِلى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئاً»، والقائلُ لِعَلِيّ رضي الله عنه: «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» صلَّى الله عليه وسلَّم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

فَقَدْ صَنَّفَ عُلَمَاءُ السَّلَف العَديدَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ فِي: (الأَربَعِينيَّات)، كعَبْد اللَّهِ بنِ المُبَارَكِ، وَأَبِي بَكْرٍ الآجُرِّيُّ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَأَبِي نُعَيْمٍ، فَبَعضُهم جَمَعَ الأَرْبَعِين فِي "الجِهَادِ"، وَبَعْضُهُمْ فِي "الزُّهْدِ"، وَبَعْضُهُمْ فِي "الآدَابِ"، وَكُلُّهَا مَقَاصِدُ حَسَنة. وَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَ أَرْبَعِينَ أَهَمَّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؛ وَهِيَ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا فِي: (التَّرهيبِ مِن الشِّرك)، ذلك أنَّ الشِّرك أعظمُ الذنوب، وهو أظلم الظلم، وأكبر الكبائر، وأوَّلُ المنهيَّات، وأوَّلُ ما يجبُ على العبد اجتنابه، وهو تنقُّصٌ لِرَبِّ العالمين، وصرفُ خالِصِ حقّه لِغيره، وعدلُ غيرِه به، وهو الذَّنب الَّذي لاَ يغفره الله، ..هذا وغيرهُ مِمَّا في هذه الرِّسالة يوجب للعبد شدَّة الخوف مِن الشِّرك الَّذي هذا شأنُه عند الله، ويبعثُه ويحُثُّه على التَّفقُّه فيه ومعرفة أنواعِه وصُوَرِه المتعدِّدة، فهذا عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه يقول: «الرِّبَا بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا وَالشِّرْكُ نَحْوُ ذَلِكَ».

وَأَلْتزمُ فِي هَذِهِ الأَرْبَعِينَ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً وَمُعْظَمُهَا فِي "صَحِيحَي الْبُخَارِي وَمُسْلِمٍ"، وَأَذْكُرُهَا مَحْذُوفَةَ الأَسَانِيدِ؛ لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا وَيَعُمَّ الانْتِفَاعُ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وأُصَدِّر الأَبْوَابَ ـ في الغالب ـ بِآياتٍ كَرِيماتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، على أن لاَ تزيد على ثلاثِ آياتٍ طلبًا للاختِصار.

فما كان فيه من صوابٍ فمِنَ الله فَضْلًا ومِنَّةً، وما كان فيه مِن خطأ فَمِنِّي ومِن الشَّيطان، والله ورسولُه بريئان مِنه. واللهُ المسؤولُ أن ينفعَ به مَن قرأه أو شَرحه أو نَشَره، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله رَبِّ العالمين.

وكتبه: أبو مُسلِم القَيرواني.

بابُ: أخذ الميثاق على عدم الإشراك بالله

قال تعالى:(وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ 172 أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ 173) [الأعراف: 172–174] ([1]).

ـ (01) عن ابن عباسٍ، عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاقَ من ظهر آدم بنَعْمَان، يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذَرَأها، فنثرهم بين يديه كالذَّرّ، ثم كلَّمَهُم قبَلاً {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173)}» ([2]).

أخرجه أحمد (2455) وقَالَ أحمد شاكر: **إسناده صحيح**، والحاكم (75) وقال: "هَذَا **حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ** وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، و**صحَّحه** الضِّياء في المختارة (366)، والأعظمي في (الجامع الكامل **في الحديث الصحيح** الشامل:1/211)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:19/190)، وانظر: (**صحيح** الكتب التسعة وزوائده:864)

***

([1]): عن أبي بن كعب قال: «جمعهم يومئذٍ جميعًا، ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرَضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم: أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا! **اعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، ولا تشركوا بي شيئًا**، وأني سأُرسِلُ إليكم رُسُلاً يُذكِّرونكم عهدي وميثاقي، وسأُنزلُ عليكم كتبي! **قالوا: شهدنا أنك ربُّنا وإلهنا، لا ربَّ لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقرُّوا له يومئذٍ بالطاعة»**. [تفسير الطبري:13/ 238]

([2]): " إِذَا كَانَ فِي فِطَرِهِمْ مَا شَهِدُوا بِهِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ رَبُّهُمْ، **كَانَ مَعَهُمْ مَا يُبَيِّنُ بُطْلَانَ هَذَا الشِّرْكِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي شَهِدُوا بِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**. فَإِذَا احْتَجُّوا بِالْعَادَةِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنِ اتِّبَاعِ الْآبَاءِ كَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمُ الْفِطْرَةَ الطَّبِيعِيَّةَ الْفِعْلِيَّةَ السَّابِقَةَ لِهَذِهِ الْعَادَةِ الطَّارِئَةِ، وَكَانَتِ الْفِطْرَةُ الْمُوجِبَةُ لِلْإِسْلَامِ سَابِقَةً لِلتَّرْبِيَةِ الَّتِي يَحْتَجُّونَ بِهَا، **وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ نَفْسَ الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ يَعْرِفُونَ التَّوْحِيدَ حُجَّةٌ فِي بُطْلَانِ الشِّرْكِ لَا يَحْتَاجُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولٍ** " [أحكام أهل الذمة:2/ 1012]

بابٌ: الشِّرك مُغيِّرٌ لِفطرةِ التَّوحيد

قال تعالى:(فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ 30 مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ 31)[الروم: 30–31]([3])، وقال:(وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ 22 ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ 23 إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ 24) [يس: 22–24] ([4]).

ـ (02) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه: {فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [الروم: 30] وفي رواية: «إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ، حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ». وفي رواية: «إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ، حَتَّى يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ» ([5]).

أخرجه البخاري (1292) ومسلم (2658).

([3]): قال ابن عبد البر(463هـ): «**أجمع أهل العلم** بالتأويل على أنَّ المراد بقوله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}: **الإسلام** وهو المعروف عند **عامَّة السَّلَف**». [التمهيد:18/ 72]

([4]): " تَأمل هَذَا الْخطاب كَيفَ تَجِد تَحْتَهُ أشرف معنى وأجلّه **وَهُوَ أَنَّ كَونه سُبْحَانَهُ فاطراً لِعِبَادِهِ يَقْتَضِي عِبَادَتهم لَهُ** وَأَنَّ مَن كَانَ مفطورا مخلوقا فحقيقٌ بِهِ أَن يعبد فاطره وخالقه وَلَا سِيمَا إِذا كَانَ مردُّه إِلَيْهِ فمبدأه مِنْهُ ومصيره إِلَيْهِ وَهَذَا يُوجب عَلَيْهِ التفرُّغ لعبادته، ثمَّ **احْتَجَّ عَلَيْهِم بِمَا تُقرُّ بِهِ عُقُولهمْ وفِطرهم مِن قُبح عبادَة غَيره وَإِنَّهَا أقبحُ شَيْءٍ فِي الْعقل وَأنْكرهُ** فَقَالَ {أأتخذ من دونه آلِهَة إِن يردني الرَّحْمَن بضر لَا تغن عني شفاعتهم شَيْئا وَلَا ينقذون إِنِّي إِذا لفي ضلال مُبين} أفلا ترَاهُ كَيفَ لم يحْتَج عَلَيْهِم بِمُجَرَّد الْأَمر **بل احْتَجَّ عَلَيْهِم بِالْعقلِ الصَّحِيح وَمُقْتَضى الْفطْرَة** ". [مفتاح دار السعادة: 2/ 8]

([5]): والمعنى: أنَّ البهيمة تَلِد ولدها كامل الخلقة، سليمًا من الآفات، فلو تُرك على أصل تلك الخلقة لبقي كاملًا بريئًا من العيوب، لكن يُتَصرَّف فيه، فتُجْدَع أذنه، ويوسم وجهه، فتطرأ عليه الآفات والنقائص، فيخرج عن الأصل، **كذلك المولودُ إنَّما يُولدُ على فِطرَة التَّوحيد** ثُمَّ أبواه يُهَوِّدانِهِ أو يُنصِّرانِهِ أو يُمجِّسانه بتربيته علَى دينهمَا، **فيَنقُلانِهِ منَ التَّوحيدِ إلى الشِّرك**.
قال ابن المنذر(319هـ): «**وأجمعوا على أنَّ حُكمَ الطفل حُكم أبويه**، إن كانا مسلمين فحكمه حكم أهل الإسلام، وإن كانا مشركين فحكمه حكم الشرك». [الإجماع لابن المنذر :74]

قَوْلهُ (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ): " إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْإِخْبَارَ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا، وَعَلَيْهَا الثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ إِذَا عَمِلَ بِمُوجِبِهَا وَسَلِمَتْ عَنِ الْمَعَارِضِ، **لَمْ يُرِدْ بِهِ الْإِخْبَارَ بِأَحْكَامِ الدُّنْيَا**، فَإِنَّهُ **قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ شَرْعِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ أَوْلَادَ الْكُفَّارِ يَكُونُونَ تَبَعًا لِآبَائِهِمْ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا**، وَأَنَّ أَوْلَادَهُمْ لَا يُنْزَعُونَ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ لِلْآبَاءِ ذِمَّةٌ، وَإِنْ كَانُوا مُحَارِبِينَ اسْتُرِقَّتْ أَوْلَادُهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا كَأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ ". [أحكام أهل الذمة: 2/ 186]

في الحديث فوائد: منها أنَّ الفِطرةَ هي فطرةُ الإسلام، لَيسَت الفطرة العامة التي فُطِر عليها من الشقاوة والسعادة، لقوله: (إلاَّ على هذه الفطرة) وفي رواية (إلاَّ على هذه الملَّة)، فلنحذر من أن نكون سببا في تبدّل فطرة التوحيد عند أبنائنا أو نفرّط في أمرهم، أو نكِلهم إلى المشركين فيخرجونهم من فطرة التوحيد، ومنها أنَّ الطِّفلَ لَا حُكْمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ **تَبَعٌ لِأَبَوَيْهِ فِي الدِّينِ فِي حُكْمِ الدُّنْيَا** حَتَّى يُعْرِبَ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ الْبُلُوغِ، ومنها أَنَّهُ لَا عِبْرَةَ لِلْإِيمَانِ الْفِطْرِيِّ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ الْإِيمَانُ الشَّرْعِيُّ لِقولِه:(فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ) فَهُوَ مَعَ وُجودِ الْإِيمَانِ الْفِطْرِيِّ فِيهِ **مَحْكُومٌ لَهُ بِحُكْمِ أَبَوَيْهِ الْكَافِرَيْنِ**، ومنها أنَّ الحُكمَ على أطفَالِ الكُفَّار بِالكُفر إنَّمَا هُوَ **تَبَعيٌّ لاَ حَقيقيٌّ**.

ـ **(03)** **عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...»** (6).

أخرجه مسلم (2865).

---

(6): قوله (خلقتُ عبادي **حنفاء كلهم**): خَلَقَ الله عِبادَه على **فِطرةِ التَّوحيد**، وذَلِكَ حِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ فِي الذَّرِّ، {قَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى}، ثُمَّ الشياطِين أضَلَّتهُم عَن دِينِهم، **فالتَّوحيدُ هَوَ الأصلُ في بَنِي آدم والشِّرْكُ طَارِئ.**

قوله (أَنْ يُشْرِكُوا بِي **مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**) أي: برهانا ولاَ حُجَّة، **فالمشرِك ليس له على شركه أيُّ حُجَّة**، قال تعالى: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ **بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ**) [آل عمران: 151]، وقال: (**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا** وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) [الحج: 71]

قوله (فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ): الْمَقْتُ أَشَدُّ الْبُغْضِ، **والمَعنى: أنَّه أبغضَهُم بِسُوءِ صَنيعِهم، وخُبثِ عَقيدتهم، واتِّفاقِهم قبلَ بعثة مُحمَّد ﷺ علَى الشِّرك، وانغِماسِهِم في الكُفر.**

قَوْلُهُ (إلاَّ بقايا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ): هُم الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ **بِدِينِ التَّوحِيدِ** مِنْ غَيْرِ تَبدِيلٍ.

في الحديث فوائد: منها أنَّ الله مَقَتَ جَميعَ المُشركين، فلَم يُفرِّق بينَ عَربيٍّ وعَجمِيٍّ، **كمَا لَم يُفرِّق بينَ عالمٍ وجَاهِلٍ، فلَم يَعذُرهُم بالجَهل**، ومنها لحوق اسم المقت قبل البعثة وقبل قيام الحجة، ومنها أنَّه لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ، **وأوَّلُ التَّقوَى اجتنابُ الشِّرك**، ومنها إثباتُ صِفتَي النَّظر وَالمَقتِ لله عزَّ وجلَّ علَى مَا يَلِيقُ بِجَلالِه وعَظَمتِه، ومنها بَيانُ أنَّه لَم يَنقَطِع أهلُ الحقِّ مِنَ الأرضِ خِلالَ فَترَاتِ الأنبياء وإن قَلُّوا، ومنها ذمُّ الجهل وفضلُ العلم **وأوَّلُ العِلم وأُسُّه وأساسُه العِلمُ بِمَعنى "لا إله إلاّ الله" نَفيًا وإثباتًا**، ومنها أنَّ كُلَّ مَالٍ مَلَكَهُ الْعَبْدُ فَهُوَ لَهُ حَلَالٌ حَتَّى يَتَعَلَّقَ بِهِ حَقٌّ، فالأصلُ في الأشياء الإباحة إلاَّ ما ورد الشَّرعُ بِتحريمه، ومنها إِنْكَارُ مَا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ السَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْبَحِيرَةِ وَالْحَامِي وَغَيْرِ ذَلِكَ، كما بيّن الله عز وجل ذلك بقوله: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ **الَّذِينَ كَفَرُوا** يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة: 103] وَأَنَّهَا لَمْ تَصِر حَرَامًا بِتَحْرِيمِهِمْ، ومنها أنَّ الله خَلَقَ عِبادَه على **فِطرةِ التَّوحيد**، وذَلِكَ حِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ فِي الذَّرِّ {قَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى}، ثُمَّ الشياطِين أضَلَّتهُم عَن دِينِهم، **فالتَّوحيدُ هَوَ الأصلُ في بَنِي آدم والشِّرْكُ طَارِئ**، ومنها بَيَانُ **"شِرِكِ الشَّعائِر"** لِقولِه (وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)، فَقَد صَرفُوا الشَّعائِر التَّعبُّديَّة لأصنَامِهِم (كالدُّعاءِ والذَّبحِ والنَّذرِ وغيرِهَا) زَعمًا مِنهُم أنَّها تُقرِّبُهم إِلَى الله زُلفَى، **فَكَانُوا بِذَلكَ مُشرِكين** كَما قال تعالى:{ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ **كَٰذِبٌ كَفَّارٌ** }، ومنها بَيَانُ **"شِركِ الشَّرائِع"** لِقولِه (وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ)، فَقَد شرَّعوا شَرائع لَم يأذَن بِهَا الله، **فَكَانُوا بِذَلكَ مُشرِكين** كَمَا قال تعالى: {مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ **ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}، وقال: {أَمْ لَهُمْ **شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ**}، ومنها أنَّ إسلامَ المَرءِ **لاَ يَصِحُّ إلاَّ باجتِنَابِ الشِّرك بِنَوعَيهِ**:(شِرك الشَّعائِر التعبدية وَشِرك الشَّرائِع العامة)، ومنها **أنَّ الشِّركَ لَيسَ عَلَيهِ دليلٌ عَقليٌّ ولاَ نَقليٌّ**، لِقَولِه (مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)، والقرآن مليء بالأدلَّةِ على بُطلانِ الإشرَاكِ بِالله تعالى، ومنها أنَّ الله يُبغِضُ الكُفَّار ويُحِبُّ المُوَحِّدين، فعَلَى العَبدِ أن يُبغِضَ ما يُبغِضُه الله وأن يُحِبَّ ما يُحِبُّه الله، **فالحُبُّ فِي الله والبُغضُ فِي الله أوثَقُ عُرَى الإيمَان.**

بابٌ: لاَ عُذرَ بِالجَهالة في الشِّرك

قال تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾[البينة: **1**] (7)، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: **89**]، وقال: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾[التوبة: **6**] (8).

_ (04) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ، وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ، وَكَانَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِأَكْثَمَ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ، فَقَالَ الْأَكْثَمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَضُرُّنِي شَبَهُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ مُسْلِمٌ وَهُوَ كَافِرٌ» (9).

أخرجه أحمد (7892)، وقال أحمد شاكر: "**إسناده صحيح**"، وابن حبان في **صحيحه** (7490)، والحاكم في المستدرك (4: 605) وقال: "هذا **حديث صحيح على شرط مسلم**، ولم يخرجاه"، **وصححه** ابن حزم في (جمهرة الأنساب: 223)، والأعظمي في (الجامع الكامل في **الحديث الصحيح** الشامل:582/12)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد: 2/ 110)

---

(7): سمَّاهم (**كُفارًا**) قبل أن تأتيهم البيِّنة، أي: **قبل قيام الحُجَّة عليهم**.

(8): سمَّاهُ (**مُشركًا**) قبل أن يسمع القرآن، أي: **مع كونِه جاهلاً**.

(9): قوله (عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ) أيْ: دين إبراهيم.

قوله (عَمْرَو بْنَ لُحَيّ): هو أوَّلُ مَن أدخل على قريشٍ الشِّرك، **شرك الشَّعائر** (الـمُتَمثّل في عبادة الأوثان) **وشرك الشَّرائع** (الـمُتمثّل فيما شرَّعه لهم مِن البحيرة والسَّائبة وغيرها). قال محمد بن حبيب(245هـ): «كان عمرو بن ربيعة **أول من غيرّ دين إبراهيم عليه السلام** وإنه خرج إلى الشام واستخلف على البيت رجلا من بني عبد بن ضخم يقال له آكل المروة **وعمرو يومئذ وأهل مكة على دين إبراهيم عليه السلام**، فلما قدم الشام نزل البلقاء فوجد أقواما يعبدون أوثانا، فقال: ما هذه الأنصاب التي أراكم تعبدون؟ فقالوا: أربابا نتخذها فنستنصر بها على عدونا فننصر ونستشفي بها من المرض فنشفى، فوقع قولهم في نفسه فقال: هبوا لي منها ربا أتخذه ببلدي فإني صاحب بيت الله الحرام، وإليّ وفد العرب من كل أوب فأعطوه صنما يقال له هبل، فحمله **حتى نصبه للناس بمكة ودعا الناس إلى عبادته ووضع للناس دينًا ابتدعه لم يسبقه إليه أحد، فسيّب السائبة وبحّر البحيرة ووصل الوصيلة وحّمى الحامي، فبايعته العرب على ذلك**». [المنمق في أخبار قريش:288]

في هذا الحديث فوائد: منها أنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ، ومنها أنَّ مَصِيرَ الكُفَّار النَّار، ومنها الفرقُ بين الكُفَّار وبين أئِمَّة الكُفر، ومنها خوفُ الصَّحابة مِن النَّار، حتَّى ظَنَّ أكثمُ أنَّه رُبَّما قَد يَضُرُّهُ شَبهُهُ بعمروِ بنِ لُحَي، ومنها أنَّ الحُكمَ على الظَّاهِر واللهُ يَتَوَلَّى السَّرائِر، فقَد حكم النَّبيُّ ﷺ بالإسلام لأكثَم معَ أنَّه لاَ يَدري على ماذا يَنطوي عليه قَلبُه، ومنها **عَدَمُ العُذرِ بِالجَهلِ في الشِّرك**، فَقَد سَمَّى النَّبيُّ ﷺ عمرو بن لُحَي بِـ (**الكَافِر**) ولَم يَعذُرهُ بِجَهلِه، ومنها أنَّ **اسم (الكافِر) ثَبَتَ قبل الرِّسَالة**، فإنه يكفُرُ بِربِّه ويعدِلُ به قبلَ الرَّسول، ومنها أنَّ شِركَ قُريشٍ لَم يَكُن فقط في الشَّعائر (الـمُتَمثِّل في عبادة الأوثان) بَل كانَ أيضًا في الشَّرائِع (الـمُتمثِّل فيما شَرَّعه لهم عمرو بن لُحَي واتِّباعِهم لما شَرَّعه لهُم)، ومنها أنّ الكفر ينتشر بين الناس بطاعة أهل الوجاهة والعلماء الفاسدين، ومنها أنَّه **إذا انتفَى أصلُ الدِّين انتفَى الإسلام ولَم تَنفَع باقي الشَّعائر التَّعبُّديَّة**، فقد حكمَ النَّبيُّ ﷺ **بأنَّ دِينَ إبراهيم قَد غيَّره عمرو بن لحُي بإدخاله الشِّرك في قريش** معَ أنَّهُ قَد كانَ باقِيًا فيهم بعضُ شَعائر دين إبراهيم يتمسَّكون بها (مِن تعظيم البيت، والطواف به، والحج، والعمرة، وغيرها فلم ينفعهم ذلك، **كما لا ينفع الناس اليوم مهما تمسكوا بالأحكام الشرعية حتى يتبرؤوا من شركهم بالذات**).

_ (05) عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النارِ» ([10]). أخرجه مسلم (203).

***

بابٌ: لاَ يُعذرُ المشركُ بِحسبانه أنَّه على هُدى أو بانتِسابه للإسلام

قال تعالى: (قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا 103 ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا 104) [الكهف: 103–104] ([11])، وقال: (فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ) [الأعراف: 30] ([12])، وقال: (وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ) [الزخرف: 37]

([10]): قَوْلُهُ (إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّار) هُوَ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ لِلتَّسْلِيَةِ بِالِاشْتِرَاكِ فِي الْمُصِيبَةِ. وكُلُّ مَا وَرَدَ بِإِحْيَاءِ وَالِدَيْهِ ﷺ وَإِيمَانِهِمَا **مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ لَا يَصِحُّ بِحَالٍ** لِاتِّفَاقِ أئمَّة الحديث على وضعه كالدارقطني والجوزقاني وابن شاهين وغيرهم.

في هذا الحديث فوائد: منها أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ مِن أهل الفترة فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ، وَمنها **أَنَّ الله عز وجل لَم يعذرهم بجهلهم إذ ماتوا قبل مجيء الرسول إليهم.**

([11]): قال ابن منده(395هـ): «ذكر الدليل على **أنَّ المجتهد المخطئ في معرفة الله عز وجل ووحدانيته كالمُعاند**: قال الله تعالى مخبراً عن ضلالاتهم ومعاندتهم: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104)}». [التوحيد لابن منده :261]

([12]): قال ابن جرير(310هـ): «**هذا مِن أبيَنِ الدلالةِ على خطأ قولِ مَن زعَم أن الله لا يُعَذِّبُ أحدًا على معصيةٍ ركِبها، أو ضلالةٍ اعْتَقَدَها، إلاَّ أن يَأْتِيها بعدَ علمٍ منه بصوابِ وجهها، فيَرْكَبَها عِنادًا منه لربِّه فيها**؛ لأنَّ ذلك لو كان كذلك، لم يَكُنْ بينَ فريقِ الضلالةِ الذي ضلَّ وهو يَحْسَبُ أنه هادٍ، وفريقِ الهدى - فَرْقٌ، **وقد فرَّق اللهُ بينَ أسمائِهما وأحكامِهما في هذه الآيةِ**».

وقال البغوي(510هـ): «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى **أَنَّ الْكَافِرَ الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ فِي دِينِهِ عَلَى الْحَقِّ وَالْجَاحِدَ وَالْمُعَانِدَ سَوَاءٌ**».

وقال العمراني(558هـ): «وفي هذا دلالة على **أن الإنسان قد يفارق الحق ولا يعرف ذلك**».

أنظر: [تفسير الطبري: 10/ 148]، [تفسير البغوي: 3/ 225]، [الانتصار في الرد على المعتزلة: 2/ 421]

قال ابن جرير(310هـ): «قال رسول الله ﷺ: (مَن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ) **وذلك الخطأ فيما كانت الأدلة على الصَّحيح مِن القول فيه مختلفةً غير مؤتلفةٍ، والأصول في الدِّلالة عليه مُفترقة غير مُتَّفقة**، وإن كان لاَ يخلُو مِن دليلٍ على الصَّحيح مِن القول فيه، فميز بينه وبين السقيم منه، غير أنه يغمُض بعضه غُموضاً يخفى على كثيرٍ مِن طُلاَّبه، ويلتبس على كثيرٍ من بُغاته. **والآخر منهما غير معذورٍ بالخطأ فيه مكلفٌ قد بلغ حدَّ الأمر والنهي، ومُكفَّرٌ بالجهل به الجاهل**، وذلك ما كانت الأدلة الدَّالَّة على صِحَّته مُتَّفِقةً غير مُفترقة، ومؤتلفةً غير مختلفةٍ، وهي مع ذلك ظاهرةٌ للحواس». [التبصير في معالم الدين:113]

_ **(06)** **عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: «رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لاَ تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا»** (13).

أخرجه البخاري (3828)

***

(13): حلف زيدٌ أنَّ قريشاً لَيست على دين إبراهيم مع انتِسابها إليه، **لأنَّها كانت تُشرك بالله، ودين إبراهيم ينافي الشِّرك.**

إنَّ قَريشًا كانت تَنتَسِبُ إلى إبراهيم عليه السلام وتدَّعي أنها على مِلّته، ومَعَ ذلك حكمَ الله بِكُفرِهِم، **فالعِبرَةُ بِالحَقيقة ولَيسَت في الانتِساب. فَمَن أشركَ بِالله فَهُوَ مُشركٌ، سَواءٌ انتَسَبَ لِدين الإسلامِ أم لَم يَنتَسِب.**

" فمن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقينا ما جرى من النبي ﷺ وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام كما ذكر "أنه ﷺ بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله"، ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة ومثل "قتال الصديق وأصحابه لمانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين" ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا} حل الخمر لبعض الخواص، ومثل إجماع الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتبعوه، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم4، ومثل تحريق علي رضي الله عنه أصحابه لما غلوا فيه، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومن اتبعه مع أنه يدعي أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشهور بالعلم والدين، وهلم جرا من وقائع لا تعد ولا تحصى. ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره: **كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويزكون؟** وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا، وهلم جرا إلى زمن بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا لم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم، ولم يتوقفوا فيه وهم في زمن ابن الجوزي والموفق. وصنف ابن الجوزي كتابا لما أخذت مصر منهم سماه النصر على مصر. **ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحدا أنكر شيئا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام**، إلاَّ ما سمعناه من هؤلاء الملاعين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ولكن من فعله أو حسنه أو كان مع أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله **أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله، أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة** ". [مفيد المستفيد:308]

في الحديث فوائد: منها أنّ التّوحيد **يُدركُ بِالعقل السَّليم** دون بلاغ رسولٍ، **فهو دين الفِطرة**، ومنها أنّ زيدًا **عرفَ كُفرَ قومه دون أن يحتاجَ إلى نُصُوصٍ شَرَعِيَّة تُبيّنُ لَهُ ذلك الحُكمَ**، فَبِحُكمِ إسلامِه المنافِي لِلشِّرك عَرَفَ أنَّ مَن أشركَ بالله لَيسَ على دِينِ الإسلام، ومنها قُوَّةُ إيمانِ زيد، حيثُ لَم يَكتُم توحيده، بَل صَدعَ به في قومِه عِندَ الكعبة المُشرَّفة، **وأعلَنَ البَراءَةَ مِنهُم، وحَلَفَ بِالله أنَّهُم كُفَّار**، وتَلَقَّى في ذلك الأذَى الكثير مِن قَومِه، وثَبتَ على دينه حتَّى المَمَات، ومنها بيانُ ما كان يتحَلَّى به زيدٌ مِنَ الأخلاقِ الفاضِلَة، كإحيائه لِلموؤودة وتكفُّلِه بمؤونَتِها، **وهذا ما ينبغي أن يتحلى به المسلم بين المشركين اليوم،** ومنها أنَّ مِن بَديهِيَّاتِ ومُسَلَّمَاتِ دِينِ الإسلام **تَكفيرُ القومِ المشركين**، فَمَن لَم يدخُل في الإسلامِ كانَ خارِجًا مِنه، ومَن خرجَ مِنَ الإسلامِ لَم يَبقَ داخِلاً فيه، فإمَّا إسلامٌ وإمَّا كُفرٌ، ومنها أنَّ العِبرَةَ بِتَحقِيقِ مِلَّة إبراهيم (اعتقادًا وقولاً وعملاً) لاَ بِمُجَرَّدِ الانتساب إليهَا، فَمن انتَسَبَ لِدينِ الإسلامِ وكانَ واقِعًا في الشِّرك فَهُوَ مُشرِكٌ، ومنها أنَّ "الإسلامَ" مَواقِف، فَهَذَا مَوقِفٌ قَد وَقفَه زيدٌ في وَجْهِ قَومِه قد مَرَّ عليهِ أكثر مِن 1460سنة، قَدْ حَفِظَه التَّاريخُ لِيَبقَى لَنَا ولِلأجيالِ القَادِمَة مِثالاً يُحتذَى بِه، ومنها بيانُ مَا كانَ عليهِ العرب في الجاهليَّة مِن جَهلٍ (كَوَأدِهِم لِلبَنَات) حتَّى جَاءَ الإسلامُ وأعطَى لِلمَرأةِ حُقوقَها، فَالإسلامُ هُوَ الَّذي حَرَّرَ المرأة، لاَ مَن يُسَمُّونَ أنفُسَهُم اليوم -زُورًا- بِدُعاة تَحريرِ المرأة، فالخَيرُ كُلُّهُ في التَّمسُّكِ بِالإسلامِ وتَعالِيمِه، والشَّرُّ كُلُّهُ في البُعدِ عَنه.

باب: الشِّرك مُنافٍ للغاية مِن الخَلق

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: 5] ([14])، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31] ([15]).

_ (07) عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ رِدفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ. قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» ([16]).

أخرجه البخاري (2856) ومسلم (30).

***

([14]): قال ابن جرير(310هـ): «{مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} يقولُ: مُفْرِدين له الطاعةَ، **لاَ يَخْلِطون طاعتَهم ربَّهم بشركٍ**. فأشرَكت اليهودُ بربِّها بقولهم: إنَّ عزيرًا ابنُ اللَّهِ، والنصارى بقولهم في المسيح مثلَ ذلك، وجحودهم نبوَّةَ محمدٍ ﷺ». [تفسير الطبري: 24/ 553]

([15]): قال ابن جرير(310هـ): «وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبارَ والرهبان والمسيحَ أربابًا، **إلاَّ أن يعبدوا معبودًا واحدًا، وأن يطيعوا إلاَّ ربًّا واحدًا دون أرباب شتَّى**، وهو الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعةُ كل خلق، المستحقُّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية». [تفسير الطبري: 14/ 213]

([16]): في الحديث فوائد: منها إخراجُ السُّؤال بِصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقعَ في النَّفس وأبلغَ في فَهمِ المُتعَلِّم، **ومنها معرفة حقِّ الله علينا، وهو أن نعبده ولا نشرك به شيئا**، ومنها أنَّه لا بُدَّ من التجرُّدِ من الشرك في العبادة، **فَمن لم يتجرَّد مِن الشرك لم يكن آتيا بعبادة الله وحده**، بل هو مشركٌ قد جعلَ لِلَّه نداًّ، ومنها معرفة حقّ العباد عليه إذا أدوا حقه، وهو أن لاَ يُعذِّبَهم، وهذا حقُّ إنعامٍ وتفضُّل، ومنها **فَضلُ التَّوحيد، فإنَّ مَن حَقَّقَه فَلَم يُشرِك بالله شيئًا لَن يُعذِّبه الله**، ومنها جواز كتمان العلم للمصلحة، لقوله (لا تبشِّرهم) **فالمصلحة أنهم يعملون بالطاعات الأخرى بعد التوحيد ويجتنبون المعاصي الأخرى بعد اجتناب الشرك ولا يتكلون**، بخلاف ما إذا سمعوا بمثل هذا فرُبَّما تركوا العمل، **وفي هذا ردٌّ على المرجئة الأولين الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، وردٌّ على غلاة المرجئة المشركين الذين يقولون: لا يضرُّ كفر مع التلفظ بالشهادة والتصديق، وهذا هو المعتقد الفاشي اليوم.**

بابٌ: الشِّرك أوَّلُ ما يجِبُ اجتنابه

قال تعالى: (وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا) [النساء: 36] ([17])، وقال: (فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 256] ([18])، وقال: (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ) [النحل: 36] ([19]).

ـ (08) عَن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَلُونِي فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ. فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ "لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ. وَتَصُومُ رَمَضَانَ" قَالَ: صَدَقْتَ...» ([20]). أخرجه مسلم (10).

ـ (09) عَن عَبْد اللهِ بْن عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ ـ في حِوارِه لِهِرَقْل ـ: «...قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ...» ([21]). أخرجه البخاري (7) ومسلم (1773).

***

([17]): أفادت الآية أنَّ أوَّلَ ما يجبُ على العبد توحيد الله، **وأوَّلُ ما يجب عليه اجتنابه الشرك بالله،** وأنَّ **اجتناب الشرك شرطٌ في صحة العبادة،** لأنَّ الله قرن الأمر بالعبادة بالنَّهي عن الشرك.

([18]): دلت الآية على أنه لاَ يكون مستمسكا بلا إله إلا الله ــ وهي العروة الوثقى ــ إلاَّ إذا كفر بالطاغوت، **فمن لَم يكفر بالطاغوت لم يحقق معنى لا إله إلاّ الله.**

([19]): " مَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ **إِلَّا بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ،** وَمَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ الْغَابِرَةُ وَأُعِدَّتْ لَهُمُ النِّيرَانُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالشِّرْكِ وَالْإِبَاءِ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَلَا نَجَا الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِالْتِزَامِ التَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ، فَمَا هَلَكَ قَوْمُ نُوحٍ بِالطُّوفَانِ وَلَا عَادٌ بِالرِّيحِ الْعَظِيمِ وَلَا ثَمُودُ بِالصَّيْحَةِ وَلَا أَهْلُ مَدْيَنَ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِلَّا بِالشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَهَكَذَا الْأُمَمُ مِنْ بَعْدِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَلَمْ يَخْرُجْ عُصَاةُ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ وَلَمْ يُخَلَّدْ غَيْرُهُمْ فِيهَا أَبَدًا مُؤَبَّدًا إِلَّا بِالشِّرْكِ ". [معارج القبول: 2/ 486]

([20]): سأله عن الإسلام، **فأجابه بأنَّ أوَّلَ ما يجبُ عليه اجتنابه هو الشِّرك بالله.**

([21]): قال أبو سفيان: يَقُولُ (اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ)، ثُمَّ استأْنف قائلاً: **وَيَأْمُرُنَا** (بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ). فذكرَ **أوَّلاً أصل الدِّين الَّذي لاَ يَصِحُّ الإسلام إلاَّ به،** ثُمَّ ذكرَ بعده ما دونه مِن الشَّرائع التَّعبُّديَّة. فهذا أبو سفيان ــ وهو يومئذٍ مُشرك ــ يُفرّق جيّدًا بين ما هو مِن أصل دين الإسلام وبين ما دونه مِن الشَّرائع التَّعبُّديَّة. ويشبه ما قاله أبو سفيان رضي الله عنه لهرقل، ما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنَّجاشي، قال جعفر: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ» ــ واستأنف قائلاً، فقال ــ «**وَأَمَرَ** بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ...».أخرجه أحمد (1740)، وقال أحمد شاكر: **إسناده صحيح**، و**صحَّحه** ابن خزيمة (2260).

بابٌ: اجتِنابُ الشِرك شرطٌ لِدُخولِ الجَنَّة وَلِغُفرانِ الذُّنوب

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: 17]([22])

_ (10) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ. قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» ([23]).

أخرجه البخاري (1397) ومسلم (14).

_ (11) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي، أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي، أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» ([24]).

أخرجه البخاري (1237)، ومسلم (94)

([22]): قوله (لَهُمُ الْبُشْرَى) أي: لهم البشرى في الدنيا **بالجنة في الآخرة**. [تفسير الطبري 21/ 273]

ومعنى اجتناب بالطاغوت: " **أن تبرأ** مِن كل ما يُعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي، أو شجر أو حجر، أو غير ذلك، **وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه**، ولو كان أباك وأخاك. فأمَّا من قال: أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة والقباب على القبور وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول: لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت ". [الجواهر المضية: 33]. **ومِثْله من تحاكم إلى الطاغوت، ومن قال: لا أتعرض لأهل الديمقراطية ودولتهم بالتكفير فهو كاذب في قول: لا إله إلا الله.**

وأركان الكفر بالطاغوت ثلاثة: مَن حقَّقَها (اعتقاداً وقولاً وعملاً) فقد حقَّقَ الكفر بالطاغوت، وهي (أوّلاً): اعتقادُ بُطلانِ عبادة غير الله، (ثانياً): ترك عبادة غير الله، (ثالثاً): البراءة مِن الشّرك وأهله.

([23]): قوله (إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ) أي **دُخُولًا أَوَّلِيًّا**، غيرَ مَسبُوقٍ بنوعٍ مِن العذاب.

سأله عن عملٍ يُدخله الجنَّة، فكان أوَّل ما قال له: (تعبد الله لاَ تُشرك به شيئا)، **فاشترطَ عليه اجتناب الشّرك.**

([24]): قوله (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ): دليل على أَنَّ أَصْحَابَ الْكَبَائِرِ لَا يُقْطَعُ لَهُمْ بِالنَّارِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ دَخَلُوهَا أُخْرِجُوا مِنْهَا وَخُتِمَ لَهُمْ بِالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ.

في الحديث فوائد: منها أنَّ من مات من هذه الأمة لاَ يشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن أتى من الزنى والسرقة، لأنَّ ذلك إنما يطرأ على الفرع فلا يتعدى إلى نقص الأصل، ومنها أنَّ **اجتناب الشّرك شرطٌ لدخول الجنّة، فمن أشرك بالله فإنَّ الجنَّة مُحرَّمة عليه**، وإذا كانت الجنَّة محرَّمة عليه فمصيره جهنم خالدا فيها أبدا.

ـ (12) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» ([25]). أخرجه مسلم (2702).

***

بابٌ: اجتِنابُ الشِّرك يُنَجِّي صاحبه مِن النَّار وَإِن دَخلَها بِذُنوبِه

قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: 2] ([26]).

ـ (13) عَن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، أراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النارِ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يُشرك بالله شيئًا ممَّن أراد أن يَرحمه ممَّن يشهد أن لا إله إلَّا الله. فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلَّا أثر السجود. حرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحِشُوا، فيُصبُّ عليهم ماءُ الحياةِ فينبتون تحته، كما تنبت الحبَّة في حميل السَّيلِ» ([27]). أخرجه البخاري (7437) ومسلم (182).

([25]): **(فله عشر أمثالها وأزيد)** معناه: أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بُدّ بفضل الله ورحمته، ووعده الذي لا يُخلَف، والزيادة بعدُ بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة، يحصل لبعض الناس دون بعض، على حسب مشيئته سبحانه وتعالى **(وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ)** غير مكفَّرة **(فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)** أي: عدلًا **(أَو أَغْفِرُ)** أي: أسترها عنه فضلًا وكرمًا، والمعنى: إن جازيته، فأجازيه بمثلها دون تضعيفها، كما في الحسنات، وإن شئت سترتها عنه، ولا أجازيه عليها أصلًا، وهذا من كمال فضله، **وهو محمول على ما سوى الشرك، فإن سيئته لاَ تُغفر**، كما بيّنه الله تعالى بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}. **(ذِرَاعًا)**: مقدار شبرين **(بَاعًا)**: طول ذراعي الإنسان وعضديه وعَرْض صدره، وذلك قَدْر أربعة أذرع. **(أتيته هرولة)**: الإتيان والهرولة مما يُمرّ على ظاهره، مع تنزيه الله تعالى عن مماثلة مخلوقاته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. **(بِقُرَابِ الْأَرْضِ)** وهو ما يقارب مِلأها **(لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا)** أي: بمثل الخطيئة المقدّرة بقراب الأرض.

في الحديث فوائد: منها الترغيب والتَّحثيثُ على المجاهدة في الطاعة والعبادة، ومنها دفع اليأس بكثرة الذنوب، ومنها أن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه جعل العدل في السيئة والفضل في الحسنة، فضاعف الحسنة، ولم يضاعف السيئة، بل أضاف فيها إلى العدل الفضلَ، فأدارها بين العقوبة والعفو، ومنها أنَّ **أعظم أسباب المغفرة اجتنابُ الشِّرك**.

([26]): قال عبد الله: «هذا في الجَهَنَّميين إذ رأَوْهم يَخْرُجون مِن النارِ»، وقال ابراهيم: «إن أهلَ النارِ يَقُولون: كنا أهلَ شِرْكٍ وكُفْرٍ، فما شأنُ هؤلاء الموحِّدين، ما أغْنَى عنهم عبادتُهم إياه؟ قال: فيُخْرِجُ مِن النارِ مَن كان فيها مِن المسلمين. قال: فعندَ ذلك {يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}». [تفسير الطبري 14/ 9]

([27]): قال الطحاوي(321هـ): «وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ في النار **لاَ يُخَلَّدُونَ** إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ مؤمنين وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عز وجل فِي كِتَابِهِ: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ **ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ**». [متن العقيدة الطحاوية:65]، وقال ابن أبي زمنين(399هـ): «وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اَللَّهَ عز وجل **يُدْخِلُ نَاسًا اَلْجَنَّةَ مِنْ أَهْلِ اَلتَّوْحِيدِ بَعْدَمَا مَسَّتْهُمْ اَلنَّارُ بِرَحْمَتِهِ** تبارك وتعالى اِسْمُهُ، وَبِشَفَاعَةِ اَلشَّافِعِينَ». [أصول السنة:180]

ـ (**14**) **عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، يَقُولُ الْكُفَّارُ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟، قَالُوا: بَلَى، قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلامُكُمْ وَقَدْ صِرتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟، قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا، فَيَسْمَعُ اللهُ مَا قَالُوا، فَيَأْمُرُ بِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ فَنَخْرُجُ كَمَا خَرَجُوا، وَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ، رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}»**([28]).

أخرجه ابن حبان في **صحيحه** (7432)، والحاكم (2954) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ **صَحِيحُ الْإِسْنَادِ** وَلَمْ يُخَرِّجَاه"، و**صحَّحه** ابن أبي عاصم في (السنة: 843)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:60/1)، وانظر: (**صحيح** الكتب التسعة وزوائده:1201)

([28]): قال عمر بن ذر: «إنَّ لي في ربي أملين: أملاً أن لاَ يُعذّبني بالنار، **فإن عذّبني لَم يُخلدني فيها مع من أشرك به».**
[حسن الظن بالله 27 رقم 16]

بابٌ: الشِّرك مَسبَّةٌ وتنقُّصٌ لِلرَّب عزَّ وجلّ

قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَد وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡض سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ 91 عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ 92﴾[المؤمنون: 91–92]، وقال: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَباۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ 158 سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ 159﴾[الصافات: 158–159]، وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰها وَٰحِداۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: 31] ([29]).

ــ (15) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ» ([30]).

أخرجه البخاري (7378) ومسلم (2804)

***

([29]): قول الله (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وقوله (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) **تنزيه لله عن الشريك وعمَّا يصفونه بصفاتِ النَّقص، فالشِّرك مسبَّةٌ وتنقُّصٌ للرَّبّ جلَّ جلاله.**

قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ(228هـ): «مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، **وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ**، فَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَرَسُولُهُ تَشْبِيهٌ».

وقال عثمان الدَّارمي(280هـ): «**مَا الْجَهْمِيَّةُ عِنْدَنَا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ...وَنُكَفِّرُهُمْ** أَيْضًا بِالْمَشْهُورِ مِنْ كُفْرِهِمْ **أَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ لِلَّهِ تبارك وتعالى وَجْهًا وَلَا سَمْعًا وَلَا بَصَرًا وَلَا عِلْمًا وَلَا كَلَامًا وَلَا صِفَةً إِلَّا بِتَأْوِيلِ ضُلَّالٍ**، يَقُولُونَ: سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَعِلْمُهُ وَكَلَامُهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ بَيْتٍ مُغْلَقٍ، وَصُنْدُوقٍ مُقْفَلٍ، قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ فِي دَعْوَاهُمْ حِيطَانُهُمْ وَأَغْلَاقُهَا وَأَقْفَالُهَا، فَإِلَى اللهِ نَبْرَأُ مِنْ إِلَهٍ هَذِهِ صِفَتُهُ، فَأَيُّ كُفْرٍ أَعْظَمُ مِنْ كُفْرِ قَوْمٍ رَأَى فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ مِثْلُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُمْ يُقْتَلُونَ وَلَا يُسْتَتَابُونَ؛ إِعْظَامًا لِكُفْرِهِمْ، وَالْمُرْتَدُّ عِنْدَهُمْ يُسْتَتَابُ وَيُقْبَلُ رُجُوعُهُ، فَكَانَتِ الزَّنْدَقَةُ أَكْبَرَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الِارْتِدَادِ وَمِنْ كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى».

وقال أَبو مَعْمَرٍ الْهُذَلِيُّ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عز وجل لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَرْضَى - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ - **فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ** عز وجل إِنْ رَأَيْتُمُوهُ عَلَى بِئْرٍ وَاقِفًا فَأَلْقُوهُ فِيهَا بِهَذَا أَدِينُ اللَّهَ عز وجل، **لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ تَعَالَى**».

وقال أبو زيد الدبوسي(430هـ): «وكذلك لا نرى نحن أحداً من الكفار إلاَّ ويُخبر عن الصانع **وإنَّما كان كُفرهم بوصفهم الله تعالى بما لا يليق به من الولد والشريك وغل الأيدي ونحوها** مما حكى الله تعالى عنها، **والعذر بلا خلاف منقطع عن مثله** أو كان الكفر بإنكارهم البعث للجزاء». أنظر: [الإحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصِّفات الإلهية]

([30]): ومثلُ هذا الحديث قوله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، **وَشَتَمَنِي** وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، **وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ». أخرجه البخاري (4974).

قوله (على أذى) أي: كلام مؤذٍ قبيح صادر من الكفار، **فسَمَّى الإشراك بالله ووصفه بصفاتِ النَّقص (أذًى)، فالشِّرك مسبَّةٌ وتنقُّصٌ للرَّب عز وجل.**

بابٌ: الشِّرك لاَ يغفره الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]([31])، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: 72] ([32])، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محمد: 34] ([33]).

ـ (16) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي. وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فأذن لي» ([34]). أخرجه مسلم (976).

***

([31]): قال ابن عباس: «**حَرَّمَ اللهُ الْمَغْفِرَةَ عَلَى مَنْ مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ**، وَأَرْجَأَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ إِلَى مَشِيئَتِهِ، فَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ». [تفسير الطبري 8/ 101]

([32]): عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللهِ عز وجل ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ؛ **فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ اللهُ عز وجل: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ}**؛ وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ، أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا فَإِنَّ اللهَ عز وجل يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ». أخرجه أحمد (26031) وقال أحمد شاكر: "**إسناده صحيح**"، والحاكم (8717)، وقال: "هذا **حديث صحيح الإسناد**، ولم يخرجاه"، وقال الهيثمي في المجمع (348/10) "رواه أحمد، وفيه صدقة بن موسى، وقد ضعَّفه الجمهور، **وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا صدقة بن موسى وكان صدوقًا. وبقية رجاله ثقات**".

" ولـمَّا كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل، حرَّم الجنة على أهله؛ **فلا يدخل الجنة نفسٌ مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها**، فمن لم يكن معه مفتاح لم يُفْتَحْ له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يُمْكِن الفَتْحُ به، فأيُّ عبدٍ اتخذَ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا مِن التوحيد، وركَّب فيه أسنانًا مِن الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لاَ تُفْتَحُ إلاَّ به، فلم يُعِقْهُ عن الفتح عائق، اللهم إلاَّ أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار؛ فإنه يُحبس عن الجنة حتَّى يتطهَّرَ منها، وإن لم يُطهّره الموقف وأهواله وشدائده، فلابدَّ مِن دُخول النار ليخرج خبثه فيها، ويتطهَّرَ مِن ذنوبه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة، فإنها دار الطَّيِّبين لاَ يدخلها إلا طَيِّب ". [الوابل الصيب باختصار:40]

([33]): قال الزجاج(311هـ): «أعلمَ عز وجل أنه **لاَ يغفر لمن مات على الكفر**». [معاني القرآن: 5/ 16]

([34]): لم يأذن له **لأنـها كافرة**، والاستغفار للكافرين لاَ يجوز؛ **لأنَّ الله لاَ يغفر لـهم أبدًا**.
في الحديث فوائد: منها جواز زيارة قبر المشرك، ومنها جواز زيارة المشركين في الحياة، لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة، وقد انقطع الأمل في إسلامهم ففي الحياة أولى؛ وقد ثبت في "الصحيح" أن غلامًا يهوديًّا كان يخدم النبيّ ﷺ، فمرض، فعاده النبيّ ﷺ، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، ومنها النَّهي عن الاستغفار للمشركين، **وأنّه لاَ يُعلم مِن أصل الدِّين بل بالخبر**، ومنها **أنَّ الله لاَ يغفرُ للمشركين إذْ نَـهى عن الاستغفار لهم**، ولا يجوز الترحم عليهم والصلاة عليهم خلافا لما يجري اليوم من الترحم حتَّى على النصارى، ومنها تأكُّد برِّ الوالِدَيْن المُشرِكَيْن كما قال تعالى:{وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}.

بابٌ: الشِّرك مُحبِطٌ للأعمال

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65](35)، وقال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88](36)، وقال: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]

ـ (17) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» (37).

أخرجه مسلم (2808).

ـ (18) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ؛ قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ. كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ. وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ "لَا يَنْفَعُهُ. إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ"» (38).

أخرجه مسلم (214).

(35): قال ابن جرير(310هـ): «يقول: لئن أشركتَ بالله شيئا يا محمد، **ليبطلنّ عملك**، ولا تنال به ثوابا، ولا تدرك جزاء إلاَّ جزاء من أشرك بالله، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك». [تفسير الطبري باختصار: 21/ 322]

(36): قال ابن جرير(310هـ): «يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سمَّيناهم، بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره (لحبط عنهم)، يقول: **لبطل فذهبَ عنهم أجرُ أعمالهم التي كانوا يعملون**، لأنَّ الله **لاَ يقبل مع الشرك به عملا**». [تفسير الطبري 11/ 514]

(37): والمعنى: أنَّ الله يجازي عباده المسلم والكافر على النقير والقطمير، والقليل والكثير، من الخير والشرّ، إما في الدنيا، وإما في العقبى، كما قال تعالى: {فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ **خَيۡرٗا يَرَهُۥ** وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ **شَرّٗا يَرَهُۥ**} [الزلزلة: 7-8]، فيقابل عبده المسلم بالفضل، والكافر بالعدل، ولاَ يُسأل عمَّا يفعل، ويُشبه هذا الحديث في المعنى قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20].

في الحديث فوائد: منها أنَّ الكافر الذي مات على كفره **لاَ ثواب له في الآخرة، لأنَّ عمله قد حبط بشركه**، ومنها بيان فضل الله عز وجل، حيثُ لاَ يظلم أحدًا من حسناته التي عملها، فأما المؤمن فيجازيه بها في الدنيا والآخرة، وأما الكافر فيعطى بها في الدنيا من التوسعة في الرزق، وتسهيل الأمور، ونحو ذلك.

(38): قوله (لَا يَنْفَعُهُ) أي: لاَ يُثاب على هذا العمل، ثم ذكر علّة عدم انتفاعه به، وهي كونه مات كافرا، وعبّر عن الإسلام ببعض ما يدلّ عليه وهو قوله (لم يقل: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

في الحديث فوائد: منها بيان فضل التَّوحيد، وأنه شرطٌ لقبول أعمال العباد، ومنها **بيان شؤم الكفر، وأنه مُحبطٌ للأعمال الصالحات**. وهذا مِمَّا يبطل الديانة الإنسانية التي يعتنقها الكثير مِمَّن ينتسبون إلى الإسلام **والتي تركز على فعل الخير وتمحو دين التوحيد وأحكام الشرع**، ويبطل كل جهود أئمة المساجد والوعاظ **الذين يركزون على نشر الأخلاق الإسلامية وحث الناس على الخير متجاهلين ما هم فيه من كفر بالله.**

ـ (19) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ نَذَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَنْحَرَ مِئَةَ بَدَنَةٍ، وَأَنَّ هِشَامَ بْنَ الْعَاصِ نَحَرَ حِصَّتَهُ، خَمْسِينَ بَدَنَةً، وَأَنَّ عَمْرًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَبُوكَ، فَلَوْ كَانَ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، فَصُمْتَ، وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ، نَفَعَهُ ذَلِكَ». وفي لفظِ أبي داود: «إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا، فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ، بَلَغَهُ ذَلِكَ» ([39]).

أخرجه أبوداود (2883)، وأحمد (6704) قال أحمد شاكر: "**إسناده صحيح**"، والأعظمي في (الجامع الكامل في **الحديث الصحيح** الشامل:16/6)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:136/2)، وانظر: (**صحيح** الكتب التسعة وزوائده:152)

بابٌ: الشِّرك أعظمُ الذُّنوب

قال تعالى: (وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ...) [النساء: 36]، وقال: (قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ...) [الأنعام: 151] ([40]).

ـ (20) عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ؟ قَالَ: «أنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قَالَ: «أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَأكُلَ مَعَكَ» قَالَ: ثُمَّ أيُّ؟ قَالَ: «أنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» وَأنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان: 68] الآيَة ([41]).

أخرجه البخاري (6001)، ومسلم (170).

([39]): والمعنى: لو كان الميت مسلما ففعلتم به ذلك وصل إليه ثوابه ونفعه وأمَّا الكافر فلا، **فإذا كان عمل المشرك حابطًا من أجل شركه فلا ينفعه، فكذلك ما عمله أقرباؤه له فإنَّه لاَ يصل إليه ثوابه ولاَ ينفعه.** وحقُّ الله مقدّم على حقّ الوالدين ولا تجدي العواطف في هذا الأمر.

([40]): كونُ الشّرك أوَّلُ المنهيَّات والمُحرَّمات **يقتضي كونه أعظم الذُّنوب.**

" إنَّ فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم، فيجب على العبد أن يبحث عن معنى ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم، **وتحريم الشرك والإيمان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الأمهات والجدات** ". [الجواهر المضية:33]، **فانظر ما الذي تستنكره وتبغضه أكثر: الديمقراطية أم الخمر؟ وإن كنت لا تقبل أن يبقى أولادك في المدرسة ساعة واحدة لو علمت أنهم يفرضون عليهم شرب الخمر فلماذا لا تهتم بعقائد الإلحاد التي يتشرّبونـها؟**

([41]): قوله (أيُّ الذَّنب أعظم؟) إنَّما سأل عن أعظم الذُّنوب ليعرفها فيجتنبها، وهذا هو الفقه.

قوله (أن تجعل لله نداً وهو خلقك): تنبيه إلى سوء وفساد عقول الذين يشركون مع الله غيره مع أنه هو الخالق وحده لا شريك له، **فكما أنه المتفرد بالخلق والإيجاد، فهو الذي يجب أن يُفرد بالعبادة وحده لا شريك له.**

ولمَّا كان **الشرك أعظم الذنوب بدأ به**؛ ثم ثنَّاه بقتل الولد خشية الأكل معه؛ لأنه قتلُ نفسٍ محرّمة شرعًا، محبوبةٍ طبعًا، مرحومة عادةً، فإذا قتلها أبوها كان ذلك دليلًا على غلبة الجهل، والبخل، وغِلَظ الطبع، والقسوة، ثم ذكر الزنا؛ لاسيما مع حليلة الجار؛ لأنَّ الجار محله الذب عنه، وعن حريمه، فإذا قابله بالزنا كان من أقبح الأشياء.

في الحديث فوائد: منها الرد على القدرية والجبرية، حيثُ أضاف الجعل إليهم، فهو كسبهم وفعلهم، ومنها بيان تفاوت الذنوب فيما بينها، ومنها **أنَّ أعظم الذنوب الشرك بالله**، أكبر من قتل النفس وعقوق الوالدين ما بالك بغيرها من حقوق الناس، ومنها الإشارة إلى أنَّ **الخالق هو الذي يجب أن يُفرد بالعبادة وحده لا شريك له**، ومنها فقه الصَّحابة إذ يسألون عمَّا ينفعهم في دينهم.

بابٌ: الشِّرك مِن السَّبع المُوبقات، وهو أكبرُ الكبائر

ـ (21) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ» ([42]).

أخرجه البخاري (2766)، ومسلم (175).

ـ (22) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ» ([43]). أخرجه البخاري (6871).

***

([42]): قوله (اجْتَنِبُوا) أي: ابتعدوا، وهو أبلغ من اتركوا. و(الْمُوبِقَاتِ) أي: المهلكات. وكلُّ ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنَّة أنه كبيرة، أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد النكير عليه أو قرن به وعيد أو لعن فهو كبيرة.

في الحديث فوائد: منها بيان **قبح الشرك وكونه أوَّلُ السبع المهلكات**، ومنها بيان انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، ومنها وجوب الاجتناب عن هذه السبع الموبقات، ومنها شدّة حرص النبيّ ﷺ على تحذير أمته عن اقتراف ما يُهلكها، ويُرديها.

([43]): شَهَادَةَ الزُّورِ مِنْ الْكَبَائِرِ، وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ الْإِشْرَاكِ وَقَوْلِ الزُّورِ، قَالَ تَعَالَى: {فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ} [الحج:30]

" وَالْمَقْصُودُ: **أَنَّ الشِّرْكَ أَعْظَمُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ** كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عز وجل وَنَفْيِ الشِّرْكِ، **فَلَمْ يَأْمُرُوا بِشَيْءٍ قَبْلَ التَّوْحِيدِ وَلَمْ يَنْهَوْا عَنْ شَيْءٍ قَبْلَ الشِّرْكِ. وَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْحِيدَ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَامِرِ إِلَّا جَعَلَهُ أَوَّلَهَا، وَلَا ذَكَرَ الشِّرْكَ مَعَ شَيْءٍ مِنَ النَّوَاهِي إِلَّا جَعَلَهُ أَوَّلَهَا**، كَمَا فِي آيَةِ النِّسَاءِ: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،،،}، وَكَمَا فِي آيَةِ الْأَنْعَامِ: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،،،}، وَكَمَا فِي آيَاتِ الْإِسْرَاءِ: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} إلى قوله {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} **فَابْتَدَأَ تِلْكَ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ بِالْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ وَخَتَمَهَا بِذَلِكَ**، وَكَذَلِكَ فِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْجَامِعَةِ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي يَبْدَأُ فِي الْأَوَامِرِ بِالتَّوْحِيدِ وَفِي الْمَنَاهِي بِالشِّرْكِ، **ومع تَتَبَّعَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَتَدَبَّرَ نُصُوصَهُمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا لَا تَخْرُجُ عَنِ الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْخَلْقَ إِلَّا لِذَلِكَ** ". [معارج القبول باختصار: 2/ 481]

بابٌ: الشِّرك مُبيحٌ للدَّم والمال

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة: 5]، وقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: 39] ([44])، وقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] ([45]).

ـ (23) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» ([46]). أخرجه البخاري (25)، ومسلم (38).

***

([44]): قال ابن جرير(310هـ): «يعني: حتى **لاَ يكون شركٌ بالله**، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان». [تفسير الطبري: 3/ 570]

([45]): قال الزجاج (311هـ): «معناه: الذين لا يؤمنون بالله إيمانَ الموحّدِين، لأنهم أقروا بأن الله خالِقُهم، وأنه له ولدٌ. وأشرك المشركون معه الأصنام، فأعلم الله عز وجل أن هذا غيرُ إيمانٍ بالله، وأن إيمانهم بالبعث ليس على جهة إيماننا لأنهم لا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربُون وليس يقرون باليوم الآخر كما أعلم الله جلَّ وعزَّ وليس يدينون بدين الحق، **فأمر الله بقتل الكافرين كافةً** إلا أن يُعْطُوا الجِزيَةَ عَنْ يَدٍ، وَفُرِض قَبُولُ الجِزْيَةِ من أهلِ الكتابِ وهم النَّصَارى واليهود». [معاني القرآن: 2/ 441]

([46]): في الحديث فوائد: منها وجوب قتال الكفار حتى يُسلموا، أو يُعطوا الجزية إن كانوا من أهلها، ومنها **أنَّ الشِّرك هو الَّذي أباح دماء الكفَّار وأموالهم ابتداءً**، ومنها أن دعوتهم إلى التوحيد تسبق القتال وأنهم على علم بسبب القتال، ومنها أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ خلافًا للمُرجئة والجهميَّة، **وأن قول الشهادة يعني التوحيد لا مجرد اللفظ مع الإشراك بالله**، ومنها الاكتفاء في قبول الإيمان بالاعتقاد الجازم خلافًا لمن أوجب تعلّم الأدلّة وجعله شرطًا في الإسلام، ومنها أنَّ الأحكام في الدُّنيا تُجْرَى على الظَّواهر، والله تعالى يتولّى السَّرائر.

بابٌ: الشِّرك يَستوجِبُ لَعنةَ اللهِ وغَضَبه

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: 161] ([47])، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ 89 بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ 90﴾ [البقرة: 89–90]، وقال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: 106]

ـ (24) عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا، حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللهِ، قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ؟ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ. فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعنَةِ اللهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعنَةِ اللهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعنَةِ اللهِ، وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعبُدُ إِلَّا اللهَ. فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ» ([48]). أخرجه البخاري (3827).

***

([47]): قال ابن جرير(310هـ): «يقول: **أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته،** (والملائكة) يعني ولَعنهم الملائكةُ والناس أجمعون، ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم: (عليهم لعنة الله)». [تفسير الطبري: 3/ 261]

(لعنه الله): بمعنى أقصاه وأبعده وأسْحَقه، وأصل (اللعن): الطرْد. [تفسير الطبري: 3/ 254]

([48]): مذهب السلف إثبات **صفة الغضب** ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى.

في الحديث فوائد: منها اجتهاد زيد في طلب الدِّين الحق وهجرته الى الشَّام في سبيل ذلك، ومنها أن العرب الأمّيين كانوا يرون أن اليهود والنصارى كانوا أعلم بالله منهم، ومنها أن العلماء كثيرا ما يَضلون ويُضلون الناس، ومنها أن كل عالم يدعو إلى دينه لا إلى الحق بالضرورة والفيصل في ذلك هو الدليل، **ومنها أنَّ الباحث عن أصل الدين عليه أن لا ينقاد كالأعمى بحجة أنَّ العالم أعلم منه،** ومنها أنَّ علماء اليهود والنَّصارى الَّذين لَقيهم زيد يعلمون أنَّهم على ضلال، وأنَّهم لا يتَّبعون الدِّين الحق، وأنَّ الله قد غضب عليهم ولَعنهم، ومنها أنَّ منهم من هو منصف يرشد الناس إلى الحق وإن لم يتبعه هو، **ومنها أنَّ اليهود والنَّصارى ليسوا على دين إبراهيم الحنيف وإن انتسبوا إليه،** ومنها أنّ الدِّين الحق قائمٌ على عبادة الله وحده، ومنها توفيق الله لزيد إذ دلَّه على الدِّين الحق وهداه للدُّخول فيه مصداقاً لقوله تعالى: {والَّذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبلنا}، ومنها **أنّ اليهود والنَّصارى إنَّما استوجبوا غضب الله ولعنته بسبب شركهم وكُفرهم.**

بابٌ: الشِّركُ أوصافُه كُلُّهَا قبيحة

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 13] ([49])، وقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116] ([50])، وقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48] ([51]).

ـ (25) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي. كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ...» ([52]).

أخرجه البخاري (4330) ومسلم (1061).

***

([49]): قال ابن قتيبة(276هـ): «الظُّلْمُ في اللغةِ وَضْعُ الشَّيْءِ في غيرِ مَوْضِعِه، **ومَن جعل لله شريكًا فقد وَضَعَ الرُّبُوبِيَّةَ غَيرَ موضِعِها**». [المسائل والأجوبة لابن قتيبة:270]

قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الْحَدِيدِ: 25]، فأرسلَ الله رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْقِسْطِ التَّوْحِيدُ، **فَالتَّوْحِيدُ أَعْدَلُ الْعَدْلِ، وَضِدُّه الشِّرْكُ وَهُوَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ**.

وَالظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ، وَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ، **فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ تعالى: فَالشِّرْكُ، قَالَ اللهُ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ: فَظُلْمُ العِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ عز وجل، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ: فَظُلْمُ العِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

([50]): قال ابن جرير(310هـ): «وذلك أنه بإشراكِه باللهِ في عبادتِه **قد أطاع الشيطانَ وسلَك طريقه، وترَك طاعةَ اللهِ ومنهاجَ دينِه**، فذاك هو الضلالُ البعيدُ والخُسرانُ المبينُ». [تفسير الطبري 7/ 485]

([51]): قال ابن جرير(310هـ): «إنما جعله الله تعالى ذكره (مفتريًا)، لأنه **قال زورًا وإفكًا بجحوده وحدانية الله، وإقراره بأنَّ لله شريكًا من خلقه وصاحبة أو ولدًا**». [تفسير الطبري 8/ 451]

فالشِّركُ: **ظلمٌ عظيم، وضلالٌ بعيد، وإثمٌ عظيم**.

([52]): قوله (ألم أجدكم **ضُلَّالًا**): الضَّلال المشار إليه هو **ضلال الإشراك والكفر**، فقد كانوا في الجاهلية ــ وهم يعبدون الأصنام ويتحاكمون إلى الطواغيت ــ **في ضلالٍ مُبين**، كما قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ **وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**}. وفي الحديث بيان أن المسلمين درجات، فمنهم السابقون الذين يوكلون إلى إيمانهم الذي يعصمهم من الفتنة وهؤلاء هم الذين ينتصر الإسلام بهم، ومنهم حديثو العهد الذين يخشى عليهم الفتنة فيعاملون كالصغار لتثبيتهم حتى يرسخ فيهم الإسلام.

بابٌ: الشِّرك مِمَّا يَتعوّذُ مِنه المُسلم

ـ (26) عن أبي هريرة، أن أبا بكرِ الصدّيقَ قال: يا رسول الله ﷺ، مُرْنِي بكلماتٍ أقولُهن إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، قال: «قل: اللهمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، ربَّ كلّ شيءٍ ومَليكَه، أشهد أن لا إله إلا أنتَ، أعوذُ بك من شرّ نفسي، وشر الشيطان وشِرْكِه، قال: "قُلْها إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مَضْجعَكَ"». وفي رواية عبد الله بن عمرو: «وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجُرَّه إلى مسلم» ([53]).

أخرجه أحمد (7948) وقال أحمد شاكر: "**إسناده صحيح**"، والترمذي (3689) وقال: "**حديث حسن صحيح**"، والحاكم في (المستدرك: 3/ 56) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ **صَحِيحُ الْإِسْنَادِ**، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وابن حبان في **صحيحه** (962)، و**صحَّحه** عبد الغني المقدسي في (الترغيب في الدعاء:152)، والوادعي في «**الجامع الصحيح** مما ليس في الصحيحين» (1/ 301)

ـ (27) عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ» ([54]).

أخرجه أحمد (20409)، و**صحّحه** ابن خزيمة (747)، وابن حبان في **صحيحه** (1028) والحاكم (1/ 252) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ **صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ** وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، و**صحّحه** ابن جرير في «تهذيب الآثار» (2/ 587)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:479/25)، وانظر: (**صحيح** الكتب التسعة وزوائده:238)

***

([53]): هذا دعاءٌ عظيمٌ، مشْتَمِلٌ على التعوُّذ بالله من الشرور كلِّها، من مصادرها ومن مواردها، بدأَهُ بتَوَسُّلات عظيمة إلى الله، فتوسل إليه بأنَّه "فاطرُ السَّموات والأرض" وأنَّه "عالِمُ الغيب والشهادة" وأنَّه "ربُّ كلِّ شيء ومليكه"، ثُمَّ شهد لَه بالوحدانيَّة وأنَّه المعبودُ بحقٍّ، كلُّ ذلك مقدّمة بين يدي الدعاء، إظهاراً لفاقته وفَقرِه واحتياجه إلى ربّه، ثمَّ ذكر بعد ذلك حاجتَه، وهو أن يُعيذَه اللهُ من شرِّ نفسه، وشر الشيطان وشِرْكِه وأن يقترف على نفسه سوءًا أو يَجُرَّه إلى مسلم.

في الحديث فوائد: منها أنَّ أفعال العباد مخلوقة لقوله (ربّ كلّ شيء ومليكه)، ومنها التَّعوُّذ مِن الشِّرك وشرّ النَّفس والشَّيطان، ومنها **بيان خطر الشِّرك، حتَّى أنَّ الشَّارع الحكيم شرع للمسلم التَّعوُّذ منه في يومه وليلته**، ومنها أنّ هذا الدُّعاء يقوله المسلم إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه للنَّوم، ومنها ذكر مصدري الشر وهما: النفس والشيطان وذكر مورده ونهايته وهما: عوده على النفس أو على أخيه المسلم، ومنها حِرصُ الصِّدّيق على الاستزادة مِن الطَّاعة لقوله (مُرني بكلماتٍ أقولهن).

([54]): في الحديث فوائد: منها الاستعاذة من الكفر والفقر وعذاب القبر، ومنها أنَّ الفقر قد يكون سببا للكفر والعصيان خوفا على ضياع الدنيا، ولذلك الشيطان يخوّف المؤمن من الفقر إن أطاع الله، كما قال الله عز وجل: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، ومنها **أنَّه بدأ بالكفر إذ هو أعظم الذُّنوب** وهو الذَّنب الذي لا يغفره الله، ومنها أنَّ هذا الدُّعاء محلُّه دبر الصلاة.

وكما علَّم النبي ﷺ صحابته التَّعوُّذ مِن الشرك الأكبر، كذلك علَّمهم التَّعوُّذ من الشرك الأصغر، فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشِّرْكِ مَا هُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا قَالَ: يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ الْمَنْجَى وَالْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِشَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ بَرِئْتَ مِنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ؟ قُلِ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ**، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ». أخرجه المقدسي في (الأحاديث المختارة: 1/ 150)

بابٌ: الشِّرك لاَ يرضاه الله لعباده

قال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: 7](55)، وقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7] (56) ، وقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: 3] (57).

_ (28) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» (58).

أخرجه مسلم (4501)، والبُخاري في" الأدب المفرد" (442)، وابن حِبان في "صحيحه" (3388)

(55): قال القصَّاب(360هـ): «آية يتعلق بها المعتزلة والقدرية ويُغالطون بها العامَّة منّا. وليس في زوال رضاه عنه ما يحيل أن يكون هو خالقه، فقد خلق إبليس، وهو رأس الشر، وليس بمرضي عنده، وخلق الدنيا، وهي بغيضته، يُزَهِّد فيها أولياءه، ويُمتِّع فيها أعداءه. **فما يمنع أن يكون الكفر من خلقه، وهو يبغضه، ولا يرضاه، ولا يرضى لعباده أن يأخذوا به،** كما لا يرضى لهم أن يأخذوا الدنيا، إذ هي متاع الغرور». [نكت القرآن: 4/ 9]

وقال النَّسفي(537هـ): «وهو وإنْ كان غنيًّا عنكم، **فإنه لا يرضى أنْ يفعل العباد الكفر، فإنه قبيحٌ في نفْسه**». [التيسير في التفسير: 13/ 15]

(56): لاَ يرضى الله لعباده الكفر، **ومِن كرمه وفضله بالمؤمنين أن كرَّه إليهم الكفر وحبَّب إليهم الإيمان.**

قال المروزي(294هـ): «لَمَّا كَانَتِ الْمَعَاصِي بَعْضُهَا كُفْرًا وَبَعْضُهَا لَيْسَ بِكُفْرٍ، فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فَجَعَلَهَا ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ، نَوْعٌ مِنْهَا كُفْرٌ، وَنَوْعٌ فِسْقٌ وَلَيْسَ بِكُفْرٍ، وَنَوْعٌ عِصْيَانٌ وَلَيْسَ بِكُفْرٍ وَلَا فُسُوقٍ، **وَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَرَّهَهَا كُلَّهَا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ**، وَلَمَّا كَانَتِ الطَّاعَاتُ كُلُّهَا دَاخِلَةً فِي الْإِيمَانِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا خَارِجًا مِنْهُ، لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا فَيَقُولُ: حَبَّبَ الْإِيمَانَ وَالْفَرَائِضَ وَسَائِرَ الطَّاعَاتِ، بَلْ أَجْمَلَ ذَلِكَ فَقَالَ: {حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ} فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ». [تعظيم قدر الصلاة: 1/ 362]

(57): إذا كان الله قد رَضِيَ لعباده الإسلام، والشِّرك نَقيضُه، **عُلِمَ أنّ الله لاَ يَرضَى الشِّرك.**
قال المروزي(294هـ): «الْإِيمَانُ الَّذِي دَعَا اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَيْهِ، وَافْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي جَعَلَهُ دِينًا، وَارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، **وَهُوَ ضِدُّ الْكُفْرِ الَّذِي سَخِطَهُ** فَقَالَ: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}». [تعظيم قدر الصلاة :2/ 529]

(58): **(يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا)**: الرضا، والسّخط، والكراهة من الصفات التي أثبتها الله لنفسه، وأثبتها النبيّ ﷺ، فهي ثابتة له على ظاهرها، على ما يليق بجلاله. **(يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)**: فهو يرضى لهم التوحيد، وضِدُّ التّوحيد الشِّرك، فالشِّرك لاَ يرضاه الله لعباده. **(وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا)** المراد هنا: الجماعة على إمام يُسمَع له ويطاع. **(وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ)** وجوب النَّصيحةِ على العامّة لوُلاةِ الأمر، وهم الأئمّةُ والخُلفاء (أي: الحكام المسلمون). في رواية **(ويكره لكم)** والكراهة- هنا- كراهة تحريم. **(قِيلَ وَقَالَ)**: الخوض في الباطل، وفيما لا يعني من الأقوال وترويج الشائعات دون تثبّت . **(وَإِضَاعَةَ الْمَالِ)**: إنفاقه في غير حقه من الباطل والإسراف والمعاصي. **(وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)**: قيل كثرة سؤال الناس الأموال، وقيل أن يكثر من المسائل الفقهية تنطُّعًا وتكلُّفًا مما لا يترتب عنه عمل، وقيل أن يُكثر من السؤال عمَّا لا يعنيه من أحوال الناس.

بابٌ: مَثَلُ قُبحِ الشِّرك واستِهجانِه

قال تعالى: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآء تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡم يَعۡقِلُونَ) [الروم: 28] ([59])، وقال: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدا مَّمۡلُوكا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡء وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ 75 وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡء وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰط مُّسۡتَقِيم) [النحل: 75–76] ([60])،وقال: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلا رَّجُلا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَل أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون) [الزُّمر:29]

_ (29) عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَامْتَلَأَ المَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟...».

أخرجه الترمذي (2863)، وقال: "حديث **حسن صحيح**"، و**صحّحه** ابن خزيمة (1895)، وابن حبان في **صحيحه** (6233)، والحاكم (1/ 421)، وقال: "**صحيحٌ** على شرط الشيخين"، والوادعي في «**الجامع الصحيح** مِمّا ليس في الصحيحين» (3/ 203)، والأعظمي في (الجامع الكامل في **الحديث الصحيح** الشامل:221/1)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:234/4)، وانظر: (**صحيح** الكتب التسعة وزوائده:886)

([59]): " يحتجُّ سبحانه عليهم بما في عقولهم من **قُبح** كونِ مملوكِ أحدهم شريكًا له. فإذا كان أحدكم **يستقبح** أن يكون مملوكُه شريكَه، ولا يرضى بذلك، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي؟ **وهذا يبيّن أنَّ قبحَ عبادة غيره تعالى مستقرٌّ في العقول والفِطَر، والسَّمعُ نبَّهَ العقولَ وأرشدها إلى معرفة ما أُودع فيها من قُبح ذلك** ". [مدارج السالكين: 1/ 373]، **وقومنا اليوم جعلوا بشرا بكل ما فيه من نقائص وشهوات شريكا لله في التشريع؟ بل جعلوا له تلك الصلاحية دون الله تعالى!**

([60]): " يعني: إذا كان لاَ يستوي عندكم عبد مملوكٌ لا يَقْدِرُ على شيءٍ وغنيٌّ مُوسَّعٌ عليه يُنْفِقُ مما رزقه الله، فكيف تجعلون الصَّنَمَ الذي هو أسوأ حالًا من هذا العبد شريكًا لله؟! وكذلك إذا كان لاَ يستوي عندكم رجلان أحدُهما أبكمُ لا يَعْقِلُ ولا يَنْطِق، وهو مع ذلك عاجزٌ لا يَقْدِرُ على شيء، وآخرُ على طريقٍ مستقيمٍ في أقواله وأفعاله، وهو آمرٌ بالعدل عاملٌ به لأنه على صراطٍ مستقيم، فكيف تُسَوُّون بين الله وبين الصَّنم في العبادة؟! ". [مفتاح دار السعادة: 2/ 1052]

لقد خلق الله عز وجل الإنسان وأنعم عليه بنعمه التي لا تحصى وسخّر له ما في الكون ليتصرف في حياته بما شرع الله له فإذا به يقابل نعم الله بالاستكبار على شرعه ويدّعي أنَّ سادته وكبراءه أعلم بمصلحته مِن خالقه.

بابُ: الوصِيّة على عدم الإشراك بالله

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ **[البقرة: 132]** ([61]).

_ **(30)** عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ» ([62]).

أخرجه البخاري في (الأدب المفرد :548)، وأحمد (6583) وقال أحمد شاكر: "**إسناده صحيح**"، والحاكم (155) وقال: "هذا **حديث صحيح الإسناد**"، و**صحَّحه** ابن كثير في (البداية والنهاية :1/ 280)، والوادعي في «**الجامع الصحيح** مِمَّا ليس في الصحيحين» (2/ 605)، والأعظمي في (الجامع الكامل في **الحديث الصحيح** الشامل:483/10)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:69/20)، وانظر: (**صحيح** الكتب التسعة وزوائده:865)

***

([61]): هذه الوصيَّة وصَّى بها إبراهيم عليه السلام بنيه، ووصَّى بها أيضًا يعقوبُ عليه السلام بنيه، وهي الثَّباتُ على الإسلام، حتَّى إذا أدركَهُم الموتُ ماتوا مسلمين. **فالوصيَّة بالإسلام وصيَّةٌ بعدم الإشراك بالله.**

([62]): في الحديث فوائد: منها **أنَّ التوحيد وصية الأنبياء**، ومنها أنَّه ينبغي على المسلم الاقتداء بالأنبياء في الوصية لأبنائه بالتوحيد وعدم الإشراك بالله، ومنها الخوف على مستقبل الإبن الأخروي أكبر من الخوف على مستقبله الدنيوي، ومنها الاختصار في الوصيّة بذكر أهمّ ما يأمر به وأهمّ ما ينهى عنه، ومنها أنَّ الموت حقٌّ على الأنبياء، ومنها بيان فضل التَّوحيد وملازمة (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)، ومنها بيان خطر الشِّرك والكِبر، ومنها حُسنُ ذكرِ التَّسبيح مع التّوحيد، فـ(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) تنزيه الله عن النَّقائص، وحُسنُ ذكرِ الكِبر مع الشِّرك، فالكبر مِن أعظم الأسباب المؤدِّية إلى الشِّرك.

بابُ: أخذ البيعة على عدم الإشراك بالله

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الممتحنة: 12] ([63]).

ـ (31): عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَقَرَأَ آيَةَ النِّسَاءِ – وَأَكْثَرُ لَفْظِ سُفْيَانَ: قَرَأَ الآيَةَ – فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ» ([64]).

أخرجه البخاري (4894) ومسلم (1709).

***

([63]): دلَّت الآية على أنَّ النبيَّ ﷺ بايع النِّساء على جملة أمور، أوَّلُها **على عدم الإشراك بالله.**

([64]): قَالَ الشَّافِعِيُّ(204هـ): «لَمْ أَسْمَعْ فِي هَذَا البَابِ أَنَّ الْحَدَّ يَكُونُ كَفَّارَةً لِأَهْلِها شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ»، وقَالَ أيضًا: «وَأُحِبُّ لِمَنْ أَصَابَ ذَنْبًا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتُرَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتُوبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ».

قال ابن عبد البر(463هـ): «هذا من أصحِّ حديثٍ يُروَى عنِ النَّبيّ ﷺ، وعليه أهلُ السُّنّةِ والجماعةِ، وهُو يُضاهي قولَ اللهِ عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} ... فالأحاديثُ اللَّيِّنةُ تُرجَى، والشَّديدةُ تُخشَى، والمُؤمِنُ موقُوفٌ بين الخَوْفِ والرَّجاءِ، والمُذنِبُ إن لم يَتُب، في مَشيئةِ اللهِ». [التمهيد: 10/ 401]

ترجم النَّسائي في سننه (البيعة على فراق المشرك) ثُمَّ ساق حديث عبادة بن الصَّامت، وموضع الدلالة عَلَى الترجمة قوله (عَلَى أن لا تشركوا) **لأنَّ صحبة المشرك قد تؤدّي إلى الشرك، والبيعة عَلَى ترك الشرك تتضمّن البيعة عَلَى ترك ما يؤدّي إليه، فصارت متضمّنة للبيعة عَلَى ترك صحبة المشرك**، والله أعلم.

قوله (أَتُبايعونِي): هو عبارة عن المُعَاقَدة عليه والمُعَاهدة كأنَّ كلَّ واحد منهم باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالِصَة نفسِه وطاعته ودَخِيلَةَ أمره. وقوله (وقرأ آية النِّساء) هي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ...} [الممتحنة: 12]. وقوله: (وَمَنْ أَصَابَ مِنْكُمْ شَيْئًا) أي مما سوى الشرك، إذ لا كفّارة للشرك، سوى التوبة عنه، فهو عام مخصوص بقولِهِ تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}، فالمُرتد إِذَا قُتِل عَلَى ارتِداده، لا يكُون القتل لهُ كَفَّارة.

في الحديث فوائد: منها **الْبَيْعَةُ عَلَى عدم الإشراك بالله**، وَعلَى الأمور المذكورة فِي الحديث، ومنها **التَّحْذِير منْ الإشْرَاك بالله، إذ الخِطابُ كان للمسلمين**، ومنها أَنَّ الحُدُودَ كَفَّارَةٌ لِأَهْلِهَا، ومنها ثَوَابُ مَنْ وَفَّى بِمَا بَايَعَ عَلَيْهِ، ومنها أَنَّ بَيْعَةَ الرَّجُلِ فِي الدِّينِ كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ إِلَّا فِي الْمَسِيسِ بِالْيَدِ خَاصَّةً، ومنها إيجَابِ الطَّاعَةِ؛ فَإِنَّ النَّهْيَ عَنْ الشَّيْءِ أَمْرٌ بِضِدِّهِ، لقوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ)، ومنها الرَدّ عَلَى الخَوارج الذين يُكفِّرُون بِالذُّنُوب، والرَّدّ عَلَى المُعتزلة الَّذين يُوجِبُون تعذِيب الفاسِق إِذَا مات بلا توبة؛ لِأَنَّ النَّبيّ ﷺ أخْبر بِأنهُ تَحت المشِيئة ولم يقُل: لابُدّ أن يُعذّبهُ، ومنها إشارة إلى الْكَفّ عن الشهادة بِالنَّارِ عَلَى أحد، أو بِالجنَّةِ لِأحدِ، إلّا منْ ورد النَّصّ فِيهِ بِعينِهِ، ومنها أنَّ ارتكاب الكبائر ليس بكفر؛ لأنَّ الكفر لاَ يُغْفَر لمن مات عليه بالنصّ.

بابُ: البيعة على مفارقة المُشرك

_ (32) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُبَايِعُهُ فَقُلْتُ: هَاتِ يَدَكَ، وَاشْتَرِطْ عَلَيَّ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالشَّرْطِ. فَقَالَ: «أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَنْصَحَ الْمُسْلِمَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكَ». وفي رواية: «وَتَبْرَأَ مِنَ الْمُشْرِكِ» ([65]).

أخرجه أحمد (19238) وقال الأرنؤوط: «**إسناده صحيح**»، والنسائي (4176)، و**صحَّحه** أبو نعيم في "الحلية"(312/8)، و**صحَّحه** الإثيوبي في «ذخيرة العقبى» (32/ 256)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:476/4)

***

([65]): قوله (وتفارق المشرك): مفارقة المشركين تكون بالهجرة منْ بين أظهرهم، **إذا لم يستطع المسلم أن يحافظ على أصل الدين ويقيم شعائره وشرائعه فيهم، وتمكَّنَ من الهجرة**، وإذا لم يستطع الهجرة، فيلزمه أن يفارقهم فِي كفرهم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصّة بهم؛ لأنَّ موافقتهم فِي ذلك تشبُّهٌ بهم، وَقَدْ قَالَ ﷺ: **‹‹منْ تشبّه بقوم، فهو منهم››.**

قوله في رواية (وتبرأ من المشرك): وهذه البراءة مِن أصل الدّين، **لاّ يصحُّ إسلام المرء إلاَّ بها**، ومِن الأدلّة عليها قوله تعالى عن الخليل: {وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ **وَقَوۡمَكَ** فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ} [الأنعام: 74]، وقوله تعالى {قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ **قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا** حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ} [الممتحنة: 4]، وقوله: {**قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ**}

فالمسلم كما يتبرّأ من الشِّرك (العبادة)، فإنَّه يتبرّأ أيضاً من الـمُشرِك (العابد)، ويتبرّأ أيضاً مِن الَّذِي اتُّخِذَ شريكاً لله عز وجل (المعبود)، لاَ انفكاك بين الأمور الثلاثة. والبراءة مِن الـمُشرك **تتضمَّنُ بُغضَه وتكفيره**، وهذا مُقتضى اللُّغة والشَّرع.

" وأصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأمر بعبادة الله وحده، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، **وتكفير من تركه**، والنهي عن الشرك بالله في عبادته، والتغليظ فيه والمعاداة فيه، **وتكفير من فعله** ". (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية:4/ 289)

وقد" أجمع العلماء سلفًا وخلفًا، من الصحابة والتابعين، والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لاَ يكون مسلمًا إلاّ بالتجرد من الشرك الأكبر، **والبراءة منه وممن فعله**، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله ". (الدرر السنية:11/ 545)

" ولو يقول رجل: أنا أتَّبعُ النبي ﷺ وهو على الحق، **لكن لا أتعرض اللات والعزى، ولا أتعرض أبا جهلٍ وأمثاله، ما عَلَيَّ مِنهُم لم يَصِحَّ إسلامه** ". (الدرر السنية :2/ 109)

" فَدين الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، **والبراءة من الشرك وأهله** ". (الدرر السنية: 1/ 129)

قال البربهاري(329هـ): «ولا نخرج أحدا من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله، أو يرد شيئا من آثار رسول الله ﷺ، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، **فإذا فعلَ شيئًا مِن ذلك فقد وجبَ عليكَ أن تُخرِجَهُ مِن الإسلام**». [شرح السنة للبربهاري: 64]

، هذا إن كان من أهل القبلة أي مسلما أصلا، كما كان الحال في عصر البربهاري.

في الحديث فوائد: منها **البيعة على فراق المشرك**، ومنها إلحاق مفارقة المشركين بفرائض الإسلام ودعائمه العظام، ومنها أنَّ الواجب تُجاه المسلم مُناصحته، والواجب تُجاه المشرك مُفارقته.

بابٌ: المُشرك نجسٌ سَفيهُ العقل

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَس﴾ [التوبة: 28] ([66])، **وقال: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [البقرة: 130]، وقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰط مُّسۡتَقِيم﴾ [البقرة: 142]**([67]).

_ (33) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: «حَضَرْتُهُمْ، وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ...» ([68]) أخرجه أحمد (7036) وقال أحمد شاكر: "**إسناده صحيح**"، وابن حبان في **صحيحه** (7234)، والبخاري (3856) مختصراً بقصة الإيذاء ودفعِ أبي بكر عنه، والأعظمي في (الجامع الكامل في **الحديث الصحيح** الشامل: 8/ 63)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد: 14/ 311)، والحارث الحسني في (**الجامع المسند الصحيح**: 2/ 437)

***

([66]): المُراد **نجاستهم المعنوية** لاَ الحِسِّيَّة، وذلك مِن جهة **مُعتقداتهم الكُفريَّة الباطلة**، والله أعلم.

([67]): قوله (السُّفهاء مِن النَّاس) يعني مُشركي مكَّة.

([68]): قوله (سفه أَحْلَامنَا) أَي: نسب عقولنا إِلَى السَّفه، وَهُوَ خفَّة الْعقل وهم يدّعون أنهم أهل حكمة وعقل ودراية بالأمور أفضل من دين الله.

وقوله (شتم آباءنا) أي: **كفَّرهُم ونسبهُم إلى الضَّلال**، فقد صرَّح ﷺ بتكفيرهم، جاء في (سيرة ابن إسحاق:207) «...قام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي إنك منا حيث قد علمت من السِّطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم **فرقتَ به جماعتهم وسفَّهتَ به أحلامهم وعبتَ به آلهتهم ودينهم، وكفَّرتَ من مضى من آبائهم** فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ قل يا أبا الوليد أسمع...»، **فالكفار في كل زمان يعظمون تاريخهم وتراثهم مهما كان فاسدا لأنه هو الذي يجمعهم.**

وقوله (عاب ديننا) أي: صرّح لهم ببُطلانِه، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} وقوله {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، **وهذا يعني أن الدين الأليف الذي رضي عنه أهل الجاهلية المعاصرة ليس إسلاما، لأنه لا يعارض كفرهم بكل صوره ولذلك بنوا له المساجد والمعاهد.**

وقوله (فرَّق جماعتنا) أي: بعدما كانوا جماعة واحدة على الكفر، أسلم منهم من أسلم، فخرجوا من جماعتهم، فالإسلام لم يأت ليجمع الناس على شهوة أو مصلحة، **بل ليفرّق بين أهل الحق وأهل الباطل حتى يجمعهم على الحق، ولم يأت الإسلام ليكون خادما لدولة الكفر ومجتمع الكفر.**

وقوله (سبّ آلهتنا) أي: شتمها وتنقَّصها، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ فَقَالُوا يَا أَبَا طَالِبٍ: **إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ آلِهَتَنَا يَقُولُ وَيَقُولُ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ**، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَانْهَهُ...» أخرجه التِّرمذي (3232) وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ"، وفي نفس حديث الباب جاء في آخره: «...إِذْ طَلَعَ عليهم رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَحَاطُوا بِهِ، **يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ**، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**نَعَمْ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ**"» يُعلنُها ﷺ مُدوّية في وجوههم، ولاَ يخشى في الله لومة لائم.

باب: هوان المشرك على الله

قال تعالى: (قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ) [آل عمران: 32] ([69])، وقال: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ) [محمد: 11] ([70])، وقال: (وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ) [الأعراف: 50] ([71]).

_ **(34)** **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»** ([72]).

أخرجه الترمذي (2320) وقال: "هَذَا **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**"، والحاكم في (المستدرك: 4/ 341) وقال: "هَذَا **حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ** وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، **وصحَّحه** الإثيوبي في (ذخيرة العقبى: 27/ 116)، والأعظمي في (**الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل**: 12/ 151)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد: 10/ 330)، وانظر: (**صحيح الكتب التسعة وزوائده**: 1138)

***

([69]): إذا كان الله لاَ يُحبهم، فكيف تكون منزلتهم عند الله؟!

([70]): قال الزجاج (311هـ): «أي لاَ وليَّ لهم ينصرهم من اللهِ في هِدَايةٍ ولاَ عُلُوٍّ على المؤمنين». [معاني القرآن: 5/ 8]

([71]): انظر إلى هوانهم على الله، كيف لاَ يسقيهم قطرةً في النار، مع استغنائه عن تعذيبهم، وقدرته على أن يعطيَهم ما يريدون.

([72]): أَيْ: لاَ يُمَتِّعُ الْكَافِرَ مِنْهَا أَدْنَى تَمَتُّعٍ، **فَإِنَّ الْكَافِرَ عَدُوُّ اللهِ**، لكن لمَّا لم يكن للدُّنيا قدرٌ عند الله أعطى الكفار منها شهواتهم، فَالْحِكْمَةُ فِي إِطْعَامِهِمْ وَإِسْقَائِهِمْ وَزِيَادَةِ إِنْعَامِهِمْ أَنَّ الدُّنْيَا "سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"، **وهذا خطاب لنا كي لا تعجبنا أموالهم ولا نستعظم ما هم فيه من متاع ولا يغرّنا تقلبهم في البلاد.**

باب: مَثَل المشرك في الدُّنيا

قال تعالى: (حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَان سَحِيق) [الحج: 31] ([73])، وقال: (مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتًا وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ) [العنكبوت: 41] ([74])، وقال: (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ) [الأنعام: 125] ([75]).

_ (35) عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً» ([76]). أخرجه مسلم (2810).

***

([73]): قال ابن جرير(310هـ): «هكذا مثَل المشرك بالله في بُعده من ربه ومن إصابه الحقّ، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء...قال قتادة: **هذا مثَل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهُدى وهلاكه»**. [تفسير الطبري: 18/ 620]

([74]): " ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ ضُعَفَاءُ، وَأَنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَهُمْ أَضْعَفُ مِنْهُمْ، فَهُمْ فِي ضَعْفِهِمْ وَمَا قَصَدُوهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْأَوْلِيَاءِ كَالْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا، وَهُوَ أَوْهَنُ الْبُيُوتِ وَأَضْعَفُهَا؛ وَتَحْتَ هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَضْعَفُ مَا كَانُوا حِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ فَلَمْ يَسْتَفِيدُوا بِمَنْ اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ إلَّا ضَعْفًا،،**وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَمْثَالِ وَأَدَلِّهَا عَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ وَخَسَارَةِ صَاحِبِهِ وَحُصُولِهِ عَلَى ضِدِّ مَقْصُودِهِ**. فَإِنْ قِيلَ: فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ، فَكَيْفَ نَفَى عَنْهُمْ عِلْمَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64]؟! فَالْجَوَابُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَنْفِ عَنْهُمْ عِلْمَهُمْ بِوَهَنِ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَإِنَّمَا نَفَى عَنْهُمْ عِلْمَهُمْ بِأَنَّ اتِّخَاذَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ كَالْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا فَلَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ لَمَا فَعَلُوهُ، وَلَكِنْ ظَنُّوا أَنَّ اتِّخَاذَهُمْ الْأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُفِيدُهُمْ عِزًّا، وَقُدْرَةً، فَكَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِ مَا ظَنُّوهُ ". [إعلام الموقعين: 1/ 119]

([75]): " فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، **والشرك والضلال من أعظم أسباب ضِيق الصدر وانحراجه"**. [زاد المعاد: 2/ 28]

([76]): **(الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ)** الخامة: الزرع أول ما ينبت على ساق واحد. **(تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى)** وذلك باختلاف حال الريح: فإن كانت شديدة حرّكتها فمالت يمينًا وشمالًا حتى تقارب السقوط، وإن كانت ساكنة أو إلى السكون أقرب أقامتها. **(حَتَّى تَهِيجَ)** أي: تستوي ويكمل نضجها. **(كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ)** وهو شجر الصنوبر، ويقال له: الأرزن، أيضًا. **(الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا)** أي: المنتصبة الثابتة. **(لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ)**: لا يميلها ولا يحركها. **(حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا)** أي: انقلاعها، ومعناه: انكسارها من وسطها، أو أسفلها.

ومعنى الحديث: " أن المؤمن كثير الآلام في بدنه، أو أهله، أو ماله، وذلك مكفِّر لسيئاته، ورافع لدرجاته، وأما الكافر فقليلها، وإن وقع به شيء لم يكفِّر شيئًا من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة. وقال المهلَّب: **معنى الحديث** أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انطاع له، فإن وقع له خير فَرِح به وشَكَر، وإن وقع له مكروه صبر، ورجا فيه الخير والأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرًا، والكافر لا يتفقده الله باختياره، بل يحصل له التيسير في الدنيا؛ ليتعسر عليه الحال في المعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه، فيكون موته أشدّ عذابًا عليه، وأكثر ألَمًا في خروج نفسه ". [البحر المحيط: 43/ 472]

بابٌ: حالُ المشرك عِندَ حُضُورِ الموتِ وخُروجِ الرُّوحِ

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ **[الأنفال: 50]** ([77])، **وقال:** ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ **[الأنعام: 93]** ([78])، **وقال:** ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ **[النازعات: 1]** ([79]).

ــ (36) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» ([80]).

أخرجه البخاري (6507)، ومسلم (2683).

([77]): قال ابن جرير(310هـ): «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو تعاين، يا محمد، **حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه،** ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم». [تفسير الطبري: 13/ 15]

([78]): أي:" لو تَرى يا محمَّدُ، **إذ هؤلاء المشركون** الظَّالمون أنفسَهم وعقولهم في شدائدِ الموتِ وسكراتِه التي تَغمرُ عقولَهم؛ {وَالْمَلَائِكَةُ} الذين هم **قابِضو الأرواحِ مِن ملائكة العذاب،** {بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} بعنفٍ وغِلْظَةٍ، يَقولون لهم: {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} أي: **أخرجوا أرواحَكم مِن أبدانِكم.** {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}؛ أي: الهوانِ والذُّلِّ، {بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}؛ أي: **بشركِكُم،** وكذبِكم على الله، وتَعظُّمِكُم على الانقيادِ للحقِّ". [التيسير في التفسير: 6/ 152]

([79]): قال مقاتل(150هـ): «يعني: **ملك الموت ينزع روح الكافر من صدره،** كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف. فيخرج نفسه من حلقه منها العروق، كالغريق في الماء». [تفسير السمرقندي: 3/ 541]

([80]): في الحديث فوائد: منها فضل محبة لقاء الله تعالى، ومنها بيان أن الجزاء من جنس العمل، فإنه قابَل المحبّة بالمحبّة، والكراهة بالكراهة، ومنها بيان معنى كراهة لقاء الله بأنه ليس المراد كراهة الموت، بل ما يكون وقت الاحتضار من حال العبد عند ما يُبشَّرُ المؤمن ويُنذَرُ الكافرُ، فإذا استبشر المؤمن وانقبض الكافر كان ذلك علامة حب لقاء الله، وكراهته، ومنها البداءة بأهل الخير في الذِّكر لِشَرَفهم، وإن كان أهل الشرّ أكثر، ومنها إثبات صفة المحبّة وصفة الكره لله تعالى حقيقةً على ما يليق بجلاله تبارك وتعالى، ومنها أنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، ومنها أنَّ **الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ.**

_ **(37)** عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ، قال النَّبِيُّ ﷺ: «...إِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ، سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلاّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)، فَيَقُولُ اللهُ، عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)...» ([81]).

أخرجه أحمد (18733)، و**صحَّحه** الحاكم في "المستدرك" (1/ 37 – 39)، و**صحَّحه** ابن القيم في (الروح:76)، والوادعي في (**الصحيح المسند** مِمَّا ليس في الصحيحين: 1/ 121)، والأعظمي في (الجامع الكامل **في الحديث الصحيح** الشامل: 4/ 319)، وصهيب في (**الجامع الصحيح** للسنن والمسانيد:263/1)، وانظر: (**صحيح** الكتب التسعة وزوائده:328)

***

([81]): في الحديث فوائد: منها **أنَّ روح الكافر خبيثة**، لقول ملك الموت: (أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ) ولقول الملائكة: (مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ)، ومنها أنَّها تُفرَّقُ في جسده كراهة الخروج إلى ما ينتظرها من العذاب الأليم، ومنها أنَّ الملك يَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، ومنها أنّها تُجعل فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، ومنها أنّ الكافر يُنادى بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، ومنها أنَّه يُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ومنها أن يُكتب لَهُ كِتَابهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، ومنها أنَّ رُوحَهُ تُطْرَحُ طَرْحًا.

بابٌ: حال المشرك في القبر

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: 27] ([82]).

ـ (38) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ» ([83]).

أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870).

***

([82]): عن البَراء بن عازب قال: «التثبيت في الحياة الدنيا إذا أتاه المَلكان في القبر فقالا له: مَن ربك؟ فقال: ربّي الله، فقالا له: ما دينك؟ قال: دينيَ الإسلام، فقالا له: مَن نبيك؟ قال: نبيِّي محمدٌ ﷺ، فذلك التثبيت في الحياة الدنيا». [تفسير الطبري: 16/ 589]

قال ابن جرير(310هـ): «وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ، وفي الآخرة بمثل الذي ثبَّتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسْألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ. وأما قوله (ويضلُّ الله الظالمين) فإنه يعني أن **الله لاَ يوفِّق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المُسَاءَلة في القبر**، لما هدي له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله ﷺ». [تفسير الطبري 16/ 602]

([83]): **(أَتَاهُ مَلَكَانِ)**: هما منكر ونكير، كما جاءت تسميتهما في بعض الأحاديث. **(فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟)** في حديث البراء بن عازب، قَالَ عن المؤمن: «فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، وقال عن الكافر: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي». **(إِلَّا الثَّقَلَيْنِ)** أي: الجن والإنس.

في الحديث فوائد: منها إثبات سماع الميت قرع نعال من يدفنه إذا انصرفوا من دفنه، ومنها إثبات سؤال المؤمن والكافر في القبر، ومنها أن الذي يَسأل في القبر ملَكان، وهما منكر ونكير، ومنها أن سؤال القبر يكون عن ثلاثة أشياء، عن الرسول محمد ﷺ كما في هذا الحديث، وعن الرّب والدِّين كما في حديث البراء بن عازب، ومنها أن من يُسأل في قبره ينقسم إلى قسمين: مؤمن مخلص موفّق للإجابة، فيُبشَّر برحمة الله وجنته، وكافر فيَضِلّ عن الجواب فيبشَّر بعذاب الله وسوء عاقبته، ومنها أن فيه ذمّ التقليد في أمور الدين، ولا سيما باب العقائد؛ فالواجب على المكلّف الاتباع، لاَ التقليد، ومنها أنَّ الميت يحيا في قبره للمسألة؛ خلافًا لمن ردّه.

بابٌ: حالُ المشرك عند الحَشر

قال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيا وَبُكۡما وَصُمّاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرا﴾ [الإسراء: 97] ([84])، وقال: **﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّ مَّكَانا وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الفرقان: 34]**

ــ (39) عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا ([85]). أخرجه البخاري (4760)، ومسلم (2806).

***

([84]): فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميا وبكما وصما، وقد قال (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ) فأخبر أنهم يرون، وقال (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) فأخبر أنهم يسمعون وينطقون؟ قيل: **جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العَمى والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أُخَر غير حال الحشر**، ويجوز أن يكون ذلك، كما روي عن ابن عباس، قوله (عُمْيا) **فلا يرون شيئا يسرّهم**، وقوله (بُكْما) **لا ينطقون بحجة**، وقوله (صُمًّا) **لا يسمعون شيئا يسرّهم**، وقوله (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ): مصيرهم إلى جهنم، وفيها مساكنهم، وهم وَقُودها. [تفسير الطبري باختصار: 17/ 559]

([85]): وذلك أنَّ مشي الإنسان على رجليه إذا نظر الإنسان فيه، وفكر في القدرة في مطاويه **سلّم لفاعلها جل جلاله نفاد القدرة على كل شيء على الإطلاق.**

وفي المسند (8647) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ، وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ...» الحديث، ويؤخذ من مجموع الأحاديث أنَّ المقربين يُحشرون ركبانًا، ومَن دونهم من المسلمين على أقدامهم، **وأما الكفار فيُحشرون على وجوههم.**

في الحديث فوائد: منها أنّ الله على كل شيء قدير، وصفة القدرة حينما نثبتها لله فإنَّما **نثبتها على كمالها المطلق**، ومنها جواز الحَلِف بعزة الله تعالى، ويشهد له ما جاء في "الصحيحين" من حديث الرجل الذي هو آخر أهل النار خروجًا منها، حيث قال: (لَا، وَعِزَّتِكَ)

بابٌ: المُشرِك لَو افتدى بِما في الأرضِ مِن عذاب يومِ القِيامة ما تُقُبِّلَ منه

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّار فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيم وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: 91] ([86])، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيم﴾ [المائدة: 36]،وقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [الرعد: 18]

ـ (40) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَاّ أَنْ تُشْرِكَ بِي» ([87]).

أخرجه البُخَارِي (3334) ومسلم (7185).

***

([86]): قال بن جرير(310هـ): «يقول: **فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة في الآخرة جَزَاءٌ ولا رِشْوَةٌ على ترك عقوبته على كفره**، ولا جُعْلٌ على العفو عنه، ولو كان له من الذهب قدرُ ما يملأ الأرضَ من مشرقها إلى مغربها، فرَشَا وَجزَى على ترك عقوبته وفي العفو عنه على كفره عوضًا مما الله مُحلٌّ به من عذابه». [تفسير الطبري: 6/ 584]

([87]): قوله (لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي: لأسهلهم عَذَابًا، وهو أبو طالب عمُّ النَّبي ﷺ كما جاء مُبيَّنًا في صحيح مسلم (212) مِن رواية ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ**، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ». وقوله (أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟): مِن الافتداء، وهو خلاص نفسه مما وقع فيه بدفع ما يملكه. وقوله (وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ) يشير إلى قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} الآية، فهذا الميثاق الذي أُخِذَ عليهم في صُلب آدم، فمن وفَى به بعد وجوده في الدنيا، فهو المسلم، ومن لم يوفِّ به فهو الكافر. وقوله (فَأَبَيْتَ إِلاّ أَنْ تُشْرِكَ بِي) أَيْ: فَلَا جَرَمَ لَا أَقْبَلُ مِنْكَ، وَلَوِ افْتَدَيْتَ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ. **والمعنى:** أردتُ منك حين أخذتُ عليك الميثاق **أن تُوحِّدني فتُفردني بالعبادة،** فأبيْتَ إذ أخرجتك إلى الدنيا إلاَّ أن تُشرك بي ما ليس لي شريكًا، ولاَ يستحقّ ذلك، **فَلَوِ افْتَدَيْتَ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ مِن العذاب الَّذي تستحِقُّه مَا قبِلتُ منك.**

في الحديث فوائد: منها أنَّ المشرك لو افتدى بما في الأرضِ مِن عذاب يومِ القِيامة ما تُقُبِّلَ منه، ومنها إثبات صفة الكلام لله تعالى، لقوله (يَقُولُ اللَّهُ تعالى..)، ومنها أنَّ الله عزّ وجل أخذ العهد والميثاق على بني آدم كلهم، وهم في صُلبِ آدم عليه السلام، فمِنهم مَن وفَى بعهده فوحَّد الله فسعِدَ السعادة الأبديّة، ومِنهم مَن امتنع مِن الوفاء فأشرك بالله فشقِيَ الشَّقاء الأبديّ.

بابٌ: المشرك لاَ ينفعه مالٌ ولاَ قرابة يوم القيامة

قال تعالى: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المجادلة: 17] ([88])، وقال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ 45 قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ 46﴾ [هود: 45-46] ([89])، وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: 10] ([90]).

_ (41) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَلَّا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ» ([91]). أخرجه البخاري (3350).

([88]): قال ابن جرير(310هـ): «يعني بذلك أنّ **أموالهم وأولادهم لن تُنجيهم من عقوبة الله** إن أحلَّها بهم - عاجلا في الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تبيُّنهم، واتباعهم المتشابه طلبَ اللبس - فتدفعها عنهم، **ولا يغني ذلك عنهم منها شيئًا**، وهم في الآخرة (وقودُ النار) يعني بذلك: حَطبُها». [تفسير الطبري: 6/ 222]

([89]): قال ابن جرير(310هـ): «تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، **لأنه كان لدينك مخالفًا، وبي كافرًا**». [تفسير الطبري: 15/ 346]

([90]): أعلَمَ الله عز وجل أنَّ **الأنبياء لاَ يُغْنون عن قراباتهم المشركين**، فإذا كان هذا حالُ الأنبياء فمَن دونهم مِن باب أولى.

([91]): **(قَتَرَةٌ)**: سَوَادٌ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ **(وَغَبَرَةٌ)**: غُبَارٌ مَعَهُ سَوَادٌ، كقوله تعالى: {ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة} **(الْأَبْعَدِ)**: يُرِيدُ الْبُعْدَ فِي الْمَرْتَبَةِ وَالِالْتِحَاقَ بِأَهْلِ النَّارِ **(بِذِيخٍ)**: وَهُوَ ذَكَرُ الضَّبُعِ الْكَثِيرِ الشَّعْرِ**(مُتَلَطِّخٍ)**: إِمَّا بِرَجِيعِهِ أَوْ بِدَمِهِ **(فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ)**: الْمُرَادُ أَنَّهُ يُؤْخَذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ **(فَيُلْقَى)**: فَيُطْرَحُ **(فِي النَّارِ)** أَيْ: فِي مَقَامِ الْكُفَّارِ.

قال ابن هبيرة(560هـ): «فليعلم كل ذي لب **أن الكفر بالله عز وجل، والجهل به سبحانه لاَ يتطاول إليه طمع طامع، ولا يعمل فيه شفاعة شافع**؛ وليكون أيضًا في ذلك أسوة لمن يرى بجهله أن أبا طالب وغيرهما من المشركين بالله أن ينفعهم من الإشراك بالله نسب؛ **إذ الإيمان بالله عز وجل أصل الأصول كلها الذي يترتب عليه اعتقاد صلة الأرحام ووشائج الأنساب، وغير ذلك**. فإذا عدم أصل الأصول الذي يوصل الأرحام بفرع ينتمي إليه لم يكن لذلك الفرع مادة من الحق تصله، ولا أس يبتني ذلك الفرع عليه، وهذا فهو مشير إلى **ألاَّ يواد المؤمن مشركاً ولاَ كافراً، وإن كان ذا نسب منه بنوة، أو أخوة، أو رحم قريبة**؛ إذ نسب إبراهيم من آزر أقرب في صلة الأنساب، ومع ذلك لم يعتد بذلك شيئًا». [الإفصاح عن معاني الصحاح: 7/ 322]

في الحديث فوائد: منها **أنَّ من مات على الشرك لاَ تنفعه قرابته من الأنبياء**؛ فإنَّ إبراهيم عليه السلام مع عظم جاهه وقدره ما نفع أباه، فمَن دونه مِن باب أولى، ومنها **أنَّ الكفار مصيرهم النّار وأنَّ الجنَّة مُحرَّمة عليهم.**

بابٌ: المشرك محرومٌ مِن شَفاعة الشَّافِعين

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: 48] ([92])، وقال: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: 109]، وقال: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: 86] ([93]).

ـ (42) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا». ([94])

أخرجه مسلم (199).

***

([92]): قال الآجرّي(360هـ): «فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لَابُدَّ مِنْ شَفَاعَةٍ **وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ لِغَيْرِهِمْ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ خَاصَّةً**». [الشريعة للآجري 3/ 1207]

" مِنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِ اعْتِقَادُهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَهُ وَلِيًّا أَوْ شَفِيعًا أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ، وَيَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا يَكُونُ خَوَاصُّ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُمْ مَنْ وَالَاهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا **أَنَّ اللَّهَ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ**، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255] وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28] وَبَقِيَ فَصْلٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ أَنَّهُ **لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا التَّوْحِيدَ، وَاتِّبَاعَ الرَّسُولِ**، وَعَنْ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ يَسْأَلُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، كَمَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: كَلِمَتَانِ يُسْأَلُ عَنْهُمَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ **فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ تَقْطَعُ شَجَرَةَ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبِ مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا: لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَلَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ، وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ** ". [مدارج السالكين 1/ 349]

([93]): قال البغوي(510هـ): «وَأَرَادَ بشهادة الحق **قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ، بِقُلُوبِهِمْ مَا شَهِدُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ**». [تفسير البغوي: 4/ 171]

قال النسفي(537هـ): «ولاَ شفاعةَ إلاَّ لِمَن شهِدَ بالحق **بكلمة التوحيد**». [التيسير في التفسير:13/ 308]

([94]): قال ابن هبيرة(560هـ): «قوله (وهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئاً) يدلُّ على أن شفاعته ﷺ منبسطة، وأن جاهه عريض متسع **لأن يرفع كل جرم إلاَّ الشرك**؛ فإنَّ **الشرك يمنع رسول الله ﷺ أن يستحسن أو يستجيز في مجاهدته في سبيل الله ربه لأهل الشرك ومعاداته إياهم لأجله؛ أن يعود شفيعًا فيهم، فيكون هذا من الأمور التي لاَ يحسن بمؤمن فكيف برسول الله ﷺ أن يبرد قلبه عن كافر كفر بالله أو أشرك به؟**». [الإفصاح عن معاني الصحاح: 6/ 160]

في الحديث فوائد: منها قوة فقه رسول الله ﷺ، وفضل فهمه؛ لأنه رأى أنَّ ما يستعجل في الدنيا يفنى هو ونفعه، فادَّخر ذلك لما يبقى هو وأثره، ومنها رحمته بأمته، ومنها أنَّ مَن مات غير مشرك لاَ يُخَلَّد في النار، ولو مات مُصِرًّا على الكبائر، ومنها **أنَّ المشرك محرومٌ من الشَّفاعة**.

بابٌ: المشرك مع معبوده يوم القيامة

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ 98 لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98–99] ([95])، وقال: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ 22 مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ 23﴾ [الصافات: 22–23] ([96])، وقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ 16 فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ 17﴾ [الحشر: 16–17] ([97]).

ـ (43) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تبارك وتعالى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ...» ([98]).

أخرجه البخاري (7437)، ومسلم (182).

([95]): قال ابن جرير(310هـ): «يعني **الآلهة ومَن عبَدها**، أنَّهم ماكِثون في النارِ أبدًا بغير نهايةٍ. وإنَّما معنَى الكلامِ: **كلُّكم فيها خالِدُون**...قال ابن زيدٍ: الآلهةُ التي عبَد القومُ، **العابدُ والمَعْبودُ**». [تفسير الطبري: 16/ 414]

([96]): قال ابن جرير(310هـ): «يقول تعالى ذكره: **احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله**، فوجهوهم إلى طريق الجحيم». [تفسير الطبري: 21/ 28]

([97]): فـ(العابد) الذي أطاع الشيطان فكفر بربه مع معبوده (الشيطان) في جهنم خالدين فيها أبدا.

([98]): **(هَلْ تُضَارُّونَ)** أي: لا يَحْجُب بعضكم بعضًا عن الرؤية، فيَضُرَّ به **(فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ)** المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح، وزوال الشك، ورفع المشقة والاختلاف **(مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ)** أي فليذهب معه حتى يستوفي أجره منه

(وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ) الطاغوت هو: " كلُّ ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوتُ كلِّ قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم إذا تأمَّلتَها وتأمَّلتَ أحوالَ الناس معها رأيت أكثرهم ممَّن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى رسوله إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته ". [أعلام الموقعين لابن القيّم 103/1]

فكُلُّ من تجاوز حدّ العبودية لله وتعدّى على حقّ الله الخالص في ربوبيته وألوهيته فهو نوعٌ من أنواع الطاغوت، فمن ادّعى أنه يخلق كخلق الله فهو طاغوت، **ومن ادّعى أنّ له الحقَّ في الحكم والتشريع مع الله فهو طاغوت**، ومن رَضِيَ أن يُدعى من دون الله فهو طاغوت، وأتباع هؤلاء في الدنيا سيتبعونهم في الآخرة، وليسوا من المؤمنين ولا من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

<u>والطواغيتُ " أنواعٌ كثيرةٌ ورؤوسُهُم خمسة:</u>

(الأول): الشَّيطان الدَّاعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ **لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.

(الثاني): الحاكم الـمُشَرِّعُ خِلافَ شَرعِ الله، والدليل قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ **شُرَكَاءُ شَرَعُوا** لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}.

(الثالث): الَّذِي يحكُمُ بِغيرِ شَرعِ الله، والدليل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً}.

(الرابع): الَّذِي يدَّعي علم الغيب مِن دون الله، والدليل قوله تعالى: {**قُلْ لاَ يَعْلَمُ** مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ **الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**}. وقوله: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ **لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**}.

(الخامس): الذي يُعبد مِن دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} ". [مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان بتصرُّف:377]

<u>ومعنى الكفر بالطاغوت:</u> " أن تَبرَأَ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي، أو شجر أو حجر، أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه، ولو كان أباك وأخاك. فأما من قال: أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة والقباب على القبور وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول: لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت ". [الجواهر المضية: 33]

<u>وأركان الكفر بالطاغوت ثلاثة:</u> مَن حقَّقَها (اعتقاداً وقولاً وعملاً) فقد حقَّقَ الكفر بالطاغوت، وهي: **(أوّلاً):** اعتقادُ بُطلانِ عبادة غير الله. **(ثانياً):** ترك عبادة غير الله. **(ثالثاً):** البراءة مِن الشِّرك وأهله.

(فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تبارك وتعالى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ): صفة الإتيان كباقي الصِّفات نُثبتها على ظاهرها، وهي من الصفات الفعليّة المتعلّقة بالمشيئة، وقد تضمّنت معنى الصفة والفعل، فالحقّ الذي كان عليه سلف الأمة، أنها ثابتة لله عز وجل بهذا النصّ، كثبوت الاستواء والنزول، وغير ذلك مما جاءت به النصوص الصحيحة الصريحة. **كذلك الصورة ثابتة لله تعالى كثبوت الصفة بلا فرق، فالصورة غير الصفة،** وكلاهما ثابتتان لله تعالى، **فله صفات تليق بجلاله، وصورة تليق بجلاله،** كثبوت ذاته العليّة من دون فرق. وبهذا صرّح الأئمة: أحمد، وإسحاق بن راهويه، وابن خزيمة، وابن قتيبة، وغيرهم.

<u>في الحديث فوائد:</u> منها إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهو مذهب أهل السنة خلافاً للمبتدعة من المعتزلة والخوارج، ومنها **أنّ العابد يتبع معبوده يوم القيامة،** فالمشركون يتبعون طواغيتهم ويكون مصيرهم النّار، والموحدون يتبعون ربَّهم ويكون مصيرهم الجنَّة، ومنها إثباتُ الصُّورة وصفة الإتيان لله على الوجه الذي يليقُ بجلاله سُبحانه وتعالى.

بابٌ: المشرك مصيره النَّار خالدًا فيها أبدا

قال تعالى: (إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ) [المائدة: 72] ([99])، وقال: (وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [البقرة: 217]، وقال: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ) [التغابن: 10]

_ (44) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» ([100]). أخرجه مسلم (93)

_ (45) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» ([101]).

أخرجه البخاري (3062) ومسلم (111).

***

([99]): إذا كانت الجنَّة محرَّمة على المشرك، **فإنَّ مصيره النَّار خالدا فيها أبدا.**

([100]): قوله (مَا الْمُوجِبَتَانِ؟) أي: الخصلتان اللتان توجبان الجنة والنار، **والواجب هو ما أوجبه الله تبارك وتعالى على نفسه لعباده فضلًا منه وكرمًا، لاَ أنه يجب عليه شيء**، فتنبّه.

" حُكْمُهُ ﷺ عَلَى مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِدُخُولِ النَّارِ وَمَنْ مَاتَ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِدُخُولِهِ الْجَنَّةَ **ممَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ**، فَأَمَّا **دُخُولُ الْمُشْرِكِ النَّارَ فَهُوَ عَلَى عُمُومِهِ فَيَدْخُلُهَا وَيَخْلُدُ فِيهَا** وَلَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ الْكِتَابِيِّ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَبَيْنَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَسَائِرِ الْكَفَرَةِ **وَلَا فَرْقَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ بَيْنَ الْكَافِرِ عِنَادًا وَغَيْرِهِ، وَلَا بَيْنَ مَنْ خَالَفَ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ مَنِ انْتَسَبَ إِلَيْهَا ثُمَّ حُكِمَ بِكُفْرِهِ** بِجَحْدِهِ مَا يَكْفُرُ بِجَحْدِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَمَّا دُخُولُ مَنْ مَاتَ غَيْرَ مُشْرِكٍ الْجَنَّةَ فَهُوَ مَقْطُوعٌ لَهُ بِهِ لَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ كَبِيرَةٍ مَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ أَوَّلًا وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ كَبِيرَةٍ مَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا فَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ فَإِنْ عُفِيَ عَنْهُ دَخَلَ أَوَّلًا وَإِلَّا عُذِّبَ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ وَخُلِّدَ فِي الْجَنَّةِ ". [البحر المحيط: 3/ 129]

([101]): قوله (هذا من أهل النّار) أي: أهلُها الَّذين يدخلونها **فلاَ يخرجون منها أبدا**، والرجل **كان منافقًا يُظهِرُ الإسلام ويُبطِنُ الكُفر**، بدلالة قوله (يدَّعي الإسلام)، وقوله (لاَ يدخل الجنَّة إلاَّ نفسٌ مسلمة).

في الحديث فوائد: منها تعظيم قتل النفس لضجرٍ أصابه مهما بلغت الآلام، وأنه ينافي الإيمان، ومنها **أن المشرك مصيره النَّار خالداً فيها، لأنَّ الجَنَّة محرّمة على المشركين، والتَّوحيد شرطٌ لدخولها**، ومنها أنَّ الله يؤيّد هذا الدِّين بالرجل الفاجر، ومنها علَمٌ مِن أعلام النُّبوَّة، ومنها بيان عظمة هذا الدِّين حيثُ جعله الله مؤيّدًا بأهله وبغيرِ أهله، ومنها أنَّ العِبرة بالخواتيم، ومنها وجوب الإخلاص في الأعمال، وبيان خطر الرِّياء والنِّفاق.

آخر كتاب "الأربعين في التَّرهيب مِن الشِّرك"

والحمد لله الَّذي بِنعمته تتمُّ الصَّالحات

وصلَّى الله على نبينا محمد

وآله وصحبه

وسلّم.

***

مُلحَق:

بعد أن اكتملت (الأربعون) بِحمدِ الله، رأيتُ أن أُضيفَ إليها هذا المُلحَق، أذكرُ فيه بعضًا مِن أسبابِ الوقوعِ في الشرك، وبعضًا مِن أنواعه، ليكونُ المرءُ مِنها على بصيرة فيَحذرَ الوُقوعَ فيها، نسألُ الله أن يُحيينا على التَّوحيدِ والسُّنَّة، وأن يُجنِبَنا الشِّرك والبِدَع، آمين.

الشِّرك له أسبابٌ عديدة، مِنهَا:

_ **الجَهلُ بِالتَّوحيد**: فجاهِلُ التَّوحيد لاَ يكونُ إلاَّ مُشركاً، قال تعالى: (وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ) [الزخرف: 86]، وقال: (فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) [محمد: 19]، وقَالَ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». أخرجه مسلم (26). **وهذا الجهل بالتوحيد هو العدو الذي يجب أن تُوجَّه الجهود للقضاء عليه قبل أيّ مسائل أخرى.**

_ **الغُلُوُّ في الصَّالحين**: وهو سببُ الشِّرك في بني آدم، قال تعالى: (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلا) [النساء: 171]، وقال: (وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ) [التوبة: 30]، وقال ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». أخرجه البخاري (3445).

فما بالك بمن يغلو في الفاسدين المفسدين لمجرد أنهم مِن قوميَّته ووطنه كما تفعل الشعوب العلمانية؟

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ: كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ: كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ: فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَأٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ: فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ: فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ، لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»([102]). أخرجه البخاري (4920)

ـ اتِّباعُ وتقليدُ الآباء الضَّالِّين: قال تعالى: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ 51 إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ 52 قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ 53)[الأنبياء: 51–53]، وقال: (قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ)[يونس: 78]، وقال: (بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ) [الزخرف: 22]، وَعَنِ المُسيّب؛ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ. جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ([103]). أخرجه البخاري (1360) ومسلم (24). **والمشركون في عصرنا يرون الخروج عن خطِّ قادة أُمَّتهم التاريخيين والآباء المؤسِّسين لدولتهم خيانة عُظمى.**

([102]): أي أنَّها لم تُعبد إلاَّ بعد ذهاب العلم **وفُشُوِّ الجهل** وانتشاره، **فالشيطان الرجيم وشياطين الإنس المعاصرين المتمكّنين من رقاب الناس لهم خطط طويلة الأمد، قد لا نتفطن لها من أول وهلة، وقد تظهر عواقبها الوخيمة بعد سنين طويلة، وحينها يصعب الرجوع إلى الخلف بعد أن يتمكن المرض.**

([103]): " الذي منعَ أبا طالبٍ وأمثاله عن الإسلام؛ **أنَّهم استعظموا آباءهم وأجدادَهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضَّلال** وأن يختاروا خلافَ ما اختار أولئك لأنفسهم، ورأوا أنهم **إن أسلموا سفَّهوا أحلامَ أولئك، وضلَّلوا عقولهم، ورموهم بأقبح القبائح وهو الكفر والشرك...**وأبو طالب لَم يَدْعُه أعداءُ الله إلاَّ مِن هذا الباب؛ لِعلمِهم بتعظيمه أباه عبد المطلب، وأنَّه إنما حازَ الفخرَ والشَّرف به، فكيف يأتي أمرًا يلزمُ منه غايةُ تنقيصِه وذمِّه؟! ولهذا قال: «لولا أن تكونَ سُبَّةً على بني عبد المطلب لأقررتُ بها عينَك» والمَسبَّةُ التي زعم أنها تُجَرُّ على أشياخه **شهادتُه عليهم بالكُفر والضَّلال وتسفيه الأحلام وتضليل العقول**؛ فهذا هو الَّذي منعه مِن الإسلام بعد تيقُّنه ". [مفتاح دار السعادة بتصرف 1/ 268]

ـ استحبابُ الحياة الدُّنيا: قال تعالى: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ 106 ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ 107)[النحل: 106–107]، وقال: (ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ 2 ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ 3)[إبراهيم: 2–3]، وقال: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ 15 أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ 16)[هود: 15–16]، وَقالَ ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». أخرجه مسلم (118).

ـ الإقتداءُ بِالكثرة: قال تعالى: (وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ) [الأنعام: 116]، وقال: (وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ) [هود: 17]، وقال: (يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ 39 مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ 40)[يوسف: 39–40]، وهذه الكثرة جعلتها الديمقراطية ميزانا ومعيارا في كل شيء بعيدا عن ميزان الحق والباطل والخير والشر.

ـ اتّباعُ الظَّنّ: قال تعالى: (وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ) [الأنعام: 116]، وقال: (وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ) [يونس: 36]، وقال: (وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا) [النجم: 28]، ومنها النظريات والفلسفات والأفكار الّتي لاَ دليل عليها وتُقدّم للناس على أنها علمٌ مقطوعٌ به.

***

والشِّركُ أنواعٌ عديدة، مِنها:

ـ الشِّركُ في الشَّعائر التَّعبُّديَّة: قال تعالى: (أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ) [الزمر: 3]، وقال: (وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ

بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [يونس: 18]، وقال: (وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدا 18 وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدا 19 قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدا 20)[الجن: 18–20]، فكُلُّ عبادةٍ صُرِفَت لله توحيد، وكُلُّ عبادةٍ صُرِفَت لِغير الله شرك، وهذه الأضرحة التي يتمسّح بها من يتسمَّون بالمسلمين في طول البلاد وعرضها صِنفٌ مِن ذلك.

_ الشِرك في التَّشريع: قال تعالى: (أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيم) [الشورى: 21] ، وقال : (مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَة وَلَا سَآئِبَة وَلَا وَصِيلَة وَلَا حَام وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ) [المائدة: 103] ([104])، وقال: (إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَة فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَاما وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَاما لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) [التوبة: 37] ([105])، وقال: (وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡق وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ) [الأنعام: 121] ([106])، وقال: (ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰها وَٰحِداۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [التوبة: 31] ([107])، وهذه القوانين التي تُشرّع خارج دين الله في دول تدّعي الإسلام صِنفٌ مِن ذلك.

([104]): عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ قَالَ الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ وَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ **وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ.**» أخرجه البخاري (3521) ومسلم (2856). وفي المسند (4258) بسندٍ حسَن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَ **أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**، وَعَبَدَ الأَصْنَامَ، أَبُو خُزَاعَةَ، عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فِي النَّارِ».

([105]): قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:«وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَسَأَ الشُّهُورَ عَلَى الْعَرَبِ الْقَلَمَّسُ...وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا فَرَغَتْ مِنْ حَجِّهَا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ فَخَطَبَهُمْ فَحَرَّمَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُحِلَّ مِنْهَا شَيْئًا أَحَلَّ الْمُحَرَّمَ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ صَفَرًا، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْلَلْتُ أَحَدَ الصَّفَرَيْنِ الصَّفَرَ الْأَوَّلَ، وَأَنْسَأْتُ الْآخَرَ لِلْعَامِ الْمُقْبِلِ فَتَتَّبِعُهُ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ». [البداية والنهاية235/3]

([106]): قال السَّمعاني(489هـ): «يَعْنِي: باستحلال الْميتَة، قَالَ الزّجاج: فِي هَذَا دَلِيل على **أَنَّ استحلال الْحَرَام، وَتَحْرِيم الْحَلَال يُوجِبُ الكُفْر»**. [تفسير السمعاني:2/ 140]

([107]): قَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيّ: «أَطَاعُوهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ تَحْلِيلِ حَرَامٍ وَتَحْرِيمِ حَلَالٍ، **عَبَدُوهُمْ بِذَلِكَ»**. [الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي:2/ 131]

ـ الشرك في الحُكم: قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: 44] ([108])، وقال: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ 50﴾[المائدة: 50] ([109])، وهذا حال مَن يبتغي حُلُولاً لأمّته في قِيَم الغرب وقوانينه.

ـ الشرك في التَّحاكُم: قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: 60] ([110])، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: 59] ([111])، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: 65] ([112]).

ـ الشِّرْكُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ: قَالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: 165]، وَهؤلاء الّذين قالوا لِآلِهَتِهِمْ وهُم في النَّار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ 97 إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ 98﴾[الشعراء: 97–98] ([113]).

([108]): نزلت في اليهود **الذين بدّلوا حكم الله، فحكموا بذلك الشّرع المُبدّل**. قال بكر بن العلاء(344هـ): «فكان ظاهر ذلك يدلُّ على أنه **من فعل فِعلهم، واخترع حكماً خالف به حكم الله، وجعله ديناً يعمل به فقد لزمه ما لزمهم**، حاكماً كان أو غير حاكم». [أحكام القرآن لبكر بن العلاء 1055].

([109]): قال ابن كثير: « يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلَ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، **كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ** مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ، الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ اليَاسق وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ، **فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم. وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم**». [تفسير ابن كثير 131/3].

وقال أيضًا: «فمن ترك الشرعَ المُحْكَم المُنَزَّلَ على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء **وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر**، فكيف بمن **تحاكم إلى (الياسا)** وقدَّمها عليه؟ **مَن فَعَلَ ذلك كفرَ بإجماع المسلمين**». [البداية والنهاية:15/ 161]

([110]): جعلَ التَّحاكم إلى الطَّاغُوت مُقابلاً للكُفْر به، وهذا يَقْتَضِي **أنَّ التَّحَاكُم إلى الطَّاغُوت كُفْرٌ بالله**، كما أنَّ الكُفْرَ بالطَّاغُوت إيمانٌ باللهِ. [اللُّباب في علوم الكتاب:6/ 456].

([111]): أمر سبحانه عباده المؤمنين أن يردُّوا ما تنازعوا فيه إليه وإلى رسوله، وخاطبهم أولًا بلفظ الإيمان، ثم جعل آخرًا **الإيمان شرطًا في هذا الرَّد**، فالإيمان يُوجبُ عليهم هذا الرَّد، وينتفي عند انتفائه، **فمَن لم يردَّ ما تنازع فيه هو وغيره إلى الله ورسوله لم يكن مؤمنًا**. [الكلام على مسألة السَّماع لابن القيّم:1/ 12]

([112]): **نَفَى الْإِيمَانَ حَتَّى يُوجَدَ تَحْكِيمُهُ وَحْدَهُ**، وَهُوَ تَحْكِيمُهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ وَتَحْكِيمُ سُنَّتِهِ فَقَطْ بَعْدَ وَفَاتِهِ. [إعلام الموقعين لابن القيّم :1/ 174]

([113]): وَهَؤلَاءِ مَا سَوَّوْهُمْ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالْمُلْكِ، وَإِنَّمَا **سَوَّوْهُمْ بِهِ فِي الْحُبِّ، وَالْخُضُوعِ لَهُمْ وَالتَّذَلُّلِ**.

_ **الشِّرْكُ في النُّصرة:** قال تعالى: (لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ) [آل عمران: 28] ([114])، وقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [المائدة: 51] ([115])، **فانظر مَن تنصر بلسانك ويدك.**

_ **الشِّرْكُ في الأسماءِ والصِّفات:** قال تعالى: (مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) [المؤمنون: 91]، فَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُونَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَمَفْهُومُهُ وُجُوبُ وَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ. وقال تعالى: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) [الشورى: 11]، وقال: (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا) [مريم: 65]، وقال: (لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) [النحل: 60]، فنَصِفُ اللهَ بما وصف به نفسَه وبما وصفه به رسولُه، مِن غير تحريفٍ ولاَ تعطيلٍ، ومِن غير تشبيهٍ ولاَ تمثيلٍ، فمَن حرَّف صفاته أو عطَّلها فقد كفر([116])، ومَن شبَّه أو مَثَّل صِفات الرَّب بِصفاتِ مخلوقاته فقد كفر.

([114]): قال ابن جرير(310هـ): «ومعنى ذلك: لا تتخذوا، أيها المؤمنون، الكفارَ ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك (فليس من الله في شيء)، يعني بذلك: **فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر»**. [تفسير الطبري 6/ 313]

([115]): قال ابن جرير(310هـ): «ومن يتولَّ اليهود والنصارى دون المؤمنين، فإنه منهم. يقول: **فإنَّ من تولاهم ونصرَهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم**، فإنه لا يتولى متولٍّ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ. وإذا رضيه ورضي دينَه، فقد عادى ما خالفه وسَخِطه، **وصار حكمُه حُكمَه»**. [تفسير الطبري 10/ 400]

([116]): قال الشَّافِعِي(204هـ): «لله تَعَالَى أَسمَاء وصفاتٌ جَاءَ بهَا كِتَابه وَأخْبر بهَا نبيه ﷺ لَا يسعُ أحدًا من خلقِ الله تَعَالَى قَامَت عَلَيْهِ الْحجَّة ردّهَا لِأَنَّ الْقُرْآن نزلَ بهَا وَصَحَّ عَن رَسُول الله ﷺ القَوْل بهَا، **فَإِن خَالَفَ ذَلِك بعد ثُبُوت الْحجَّة عَلَيْهِ فَهُوَ كَافِر بِاللَّه تَعَالَى**، فَأَمَّا قبلَ ثُبُوت الْحجَّة عَلَيْهِ من جِهَة الْخَبَر فمعذورٌ بِالْجَهْلِ **لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ بِالْعقل وَلَا بِالرَّوِيَّةِ وَلَا بِالفِكر»**. [ذم التأويل لابن قدامة:23]

ففرَّقَ الشَّافِعِيُّ بينَ الصِّفاتِ الَّتي لاَ تُعلمُ إلاَّ بِالخبَر، وبينَ الَّتي تُدركُ بِالعقلِ والفِكر. فالأُولى (الَّتي دون أصل الدِّين) **فيها تفصيلٌ، فيُعذرُ جاهِلُها ويَكفُرُ مُنكِرُها بعد ثُبوتِ الحُجَّة عليه.** والثَّانية (الَّتي مِن أصل الدِّين) **لاَ عُذْرَ بِالجهل فيها البتَّة.**

وفي الجُملة: إنَّ صِفاتَ ربّ العالمين علَى قِسمَين، صِفاتٌ مِن أصلِ الدِّين، وصِفاتٌ لَيْسَت مِن أصلِ الدِّين. **فالَّتي مِن أصل الدِّين هِيَ: الَّتي لاَ يُتصَوَّر الرَّبُّ إلاَّ بِهَا** (كصِفة القُدرة والعِلم مَثَلاً)، **والَّتِي دُونَ أصلِ الدِّين هِيَ: الَّتي تُعلَمُ بِالخَبَر** (كصِفَة النُّزولِ وَالمَجيء مَثَلاً)، فَمَن أنكَرَ أو جَهِلَ صِفَةَ القُدرة أو العِلم فَهُوَ كافِرٌ، ومَن لَم يُكفِّرهُ أو شَكَّ أو تَوقَّف في تَكفِيره فَهُوَ كافِر. وَمَن أنكَرَ أو جَهِلَ صِفة النُّزُولِ أو المَجيء، فهَذَا وَإنْ كَفَّرنَاهُ فَإنَّنَا لاَ نُكفِّره إلاَّ بَعدَ قِيامِ الحُجَّة عَلَيه، ومَا دُمنَا لا نُكفِّرُه إلاَّ بَعدَ قِيامِ الحُجَّة عَلَيه فَإنَّنا لاَ نُكفِّر مَن لَم يُكفِّرهُ أو شَكَّ أو تَوقَّفَ في تَكفِيره.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ **[الإسراء: 110]**، **وقال:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **[الأعراف: 180]**، **وقال:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ﴾ **[فصلت: 40]** ([117]).

([117]): **"والإلحاد في أسمائه:** هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحقِّ الثابت لها. وهو أنواعٌ: **أحدها:** أنْ يُسَمّي الأصنام بها؛ كتسميتهم اللاَّت من الإلهية والعُزَّى من العزيز، **الثاني:** تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا، **وثالثها:** وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص؛ كقول أخبث اليهود: إنَّه فقير، وقولهم: يدُ الله مغلولة، **ورابعها:** تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنَّها ألفاظٌ مجردةٌ لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، **وهذا من أعظم الإلحاد فيها** عقلاً وشرعًا ولغة وفطرة، وكلُّ من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك. **وخامسها:** تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوًا كبيرًا"**.** [بدائع الفوائد باختصار: 1/ 169]

فهرس المحتويات:

بابٌ: اجتِنابُ الشّرك يُنَجِّي صاحبه مِن النَّار وَإِن دَخلَها بِذُنوبِه

بابٌ: الشِّرك مَسبَّةٌ وتنقُّصٌ لِلرَّب عزَّ وجلّ

بابٌ: الشِّرك لاَ يغفره الله

بابٌ: الشِّرك مُحبطٌ للأعمال

بابٌ: الشِّرك أعظمُ الذُّنوب

بابٌ: الشِّرك مِن السَّبع الموبقات، وهو أكبرُ الكبائر

بابٌ: الشِّرك مُبيحٌ للدَّم والمال

بابٌ: الشِّرك يستوجبُ لَعنة الله وغَضبه

بابٌ: الشرك أوصافه كلها قبيحة

بابٌ: الشرك مِمَّا يتعوَّذُ مِنه المسلم

بابٌ: الشِّرك لاَ يرضاه الله لعباده

بابٌ: مَثَل قُبح الشرك واستهجانه

بابُ: الوصِيّة على عدم الإشراك بالله

بابُ: أخذ البيعة على عدم الإشراك بالله

بابٌ: البيعة على مفارقة المُشرك

بابٌ: المشرك نجسٌ سفيه العقل

بابٌ: هَوانُ المشرك على الله

بابٌ: مَثلُ المشرك في الدُّنيا

بابٌ: حالُ المشرك عند حضور الموت وخروج الرُّوح